زواج التجربة والتلاعب بالميثاق الغليظ

التوحيد

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٥٩٥ السنة الخمسون - رجب ١٤٤٢ هـ
الثمن ٥ جنيهات

الفروق الفاصلة
بين البدعة
والمصلحة المرسلة

حقوق القرآن يا أمة الإسلام

من خصائص الإسلام ومحاسنه

تزكية النفس .. خطوات ومآلات

الرضا بالقضاء والقدَر عبادةٌ وسعادةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

رئيس مجلس الإدارة

أ.د. عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام

د. عبد العظيم بدوي

مستشار التحرير

جمال سعد حاتم

نائب المشرف العام

د. مرزوق محمد مرزوق

اللجنة العلمية

د. جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل

د. محمد عبد العزيز السيد

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ١٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم: ٢٢٣٩٣٠٦٦٢.

٢- في الخارج ٤٠ دولارا أو ٢٠٠ ريال سعودي أو مايعادلهما

920 جنيها

ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر ٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن.

السلام عليكم

فطرة سليمة

مع أن الهدهد رأى في مملكة سبأ أشياء تُبهر من رآها، وذكر ذلك للنبي سليمان عليه الصلاة والسلام، فقال: «إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ» (النمل: ٢٣). إلا أن عظمة هذا المُلك لم تفتن الهدهد ولم تشغل باله، وإنما الذي شغل باله وأزعجه شركُهم بالله، كما قال تعالى: «وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ» (النمل: ٢٤)، ورأى الهدهد أن هذا الشرك شيء عظيم، فقال لسليمان عليه السلام: «وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ» (النمل: ٢٢).

إذا كان هذا حال طائر نحو الغيْرة على توحيد الله، وإذا كان هذا تقييمه بإهمال الدنيا الحقيرة رغم قوة زُخرفها؛ فما بال بعض البشر حينما يذهبون إلى بلاد الكفر، ينبهرون بزخرفها وزينتها، ويتخذون من أهلها قدوة ومثلاً أعلى، رغم ما هم عليه من الانحلال والكفر؟ فسبحان الله القائل: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج: ٤٦).

التحرير

بريد القراء

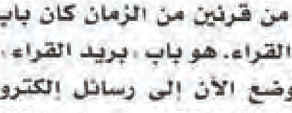

«بريد القراء»، أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، بالإضافة إلى البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تتاح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحافية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٢٠٠ و ٥٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم إهمال الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة بذيئة لا تصلح للنشر، والله الموفق.

٢

من خصائص الإسلام ومحاسنه

٢٦

الفروق الفاصلة بين البدعة والمصلحة المرسلة

٣٢

حقوق القرآن يا أمة الإسلام

٤٤

زواج التجربة والتلاعب بالميثاق الغليظ

باب التفسير ٥
شركات توظيف الأموال ٨
بدع أحدثت في رجب ١٢
كلمة التحرير ١٤
باب السنة ١٧
فقه المرأة المسلمة ٢١
دراسات قرآنية ٢٤
ويل للمطففين ٣٠
واحة التوحيد ٣٦
دراسات شرعية ٣٨
الاستسلام للأقدار الغالبة ٤١
كتاب عربي علم العالم ٤٨
الأسرة المسلمة ٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية ٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل ٥٧
باب الفقه ٦١
ذم البخل والشح ٦٤
منبر الحرمين ٦٧
مقالات في معاني القراءات ٧٠

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

مدير التحرير
إبراهيم رفعت أبو موته

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ٥٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ ـ فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

افتتاحية العدد

من خصائص الإسلام ومحاسنه

الرئيس العام **د. عبد الله شاكر**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين، وبعد، فقد تحدثت في اللقاء السابق عن الإسلام الذي بعث الله به النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، ووجهت دعوة صادقة إلى عموم البشرية بأن يلتزموه ويصدّقوا به، وفي هذا اللقاء أذكر أهم ما تميز به الإسلام من خصائص تدفع من عرفها إلى الإقبال عليه، أو على الأقل عدم الطعن فيه، فأقول وبالله التوفيق:

الخاصية الأولى:
تمام النعمة بإكمال الإسلام:

إنَّ مما امتاز به الإسلام، وأشاد به القرآن أن الله تبارك وتعالى بنفسه أخبرنا أنه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة به، وهذا الشرف عظيم لهذه الأمة، وفي ذلك يقول القرآن الكريم: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) (المائدة: ٣)، وهذه الآية تشتمل على معانٍ عظيمة فقهها علماء الإسلام، بل إنَّ اليهود أدركوا مكانتها وفضلها، دل على ذلك ما جاء في الصحيحين عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتاب الله تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. قال: أي آية؟ قال: (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا) قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قائم بعرفة يوم جمعة. (صحيح البخاري ٤٥، ومسلم ٣٠١٧).

وكلام أمير المؤمنين رضي الله عنه يدل على أنهم كانوا يعرفون قدر هذه النعمة، ولمكانتها عندهم

لم يغب عنهم اليوم والمكان الذي نزلت فيه الآية. والناظر في كتب المفسرين يدرك نعمة الله على هذه الأمة بذلك. يقول الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله: «هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبيّ غير نبيهم -صلوات الله وسلامه عليه-، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حقّ وصدق لا كذب فيه». (تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج٢، ص١٩).

وبعد هذه النعمة وبعد إكمال الدين بفرائضه وحدوده وآدابه ومستحباته لا يجوز الزيادة فيه؛ لأن الكامل لا يحتاج إلى زيادة. وقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله عن ابن عباس والسدي أنه لم ينزل بعد هذه الآية تحليل ولا تحريم. (انظر: زاد المسير: ج٢، ص٢٨٧).

وقد ذكر ابن حجر أن هذه الآية في حجّة الوداع التي هي آخر عهد البعثة حين تمت الشريعة وأركانها. (انظر: فتح الباري: ج١، ص١٠٦).

وعليه أقول: يحرم الابتداع في دين رب العالمين؛ لتمام النعمة علينا بإكمال الدين، ومن المعلوم أن نبينا صلى الله عليه وسلم ما قبضه الله إليه إلا بعد أن بيّن وأوضح معالم الدين عقيدةً وشريعة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها ونهارها سواء. وقد حذّر صلى الله عليه وسلم من الإحداث في الدين وإدخال ما ليس منه فيه بعد أن بلّغ البلاغ المبين. قال أبو ذر رضي الله عنه: «لقد تركنا محمد صلى الله عليه وسلم وما يُحرّك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علمًا». (مسند أحمد: ج٥، ص١٠٣).

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». (صحيح البخاري ٢٦٩٧، ومسلم ١٧١٨). ويُفهم من ذلك أن كل ما أحدث في الدين فهو باطل ولا يُعتدّ به. قال ابن حجر رحمه الله: «وفيه ردّ المحدثات وأن النهي يقتضي الفساد؛ لأن المنهيات كلها ليست من أمر الدين فيجب ردها». (فتح الباري: ج٥، ص٣٠٣).

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقول: «أما بعدُ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة». (صحيح مسلم ٨٦٧).

الخاصية الثانية:

الله رضي لنا الإسلام دينا:

وقد نص الله على ذلك في آية سورة المائدة، وهو دين الحنيفية السمحة التي لا اعوجاج فيها ولا انحراف، وهو الدين الذي بُعث به النبي عليه الصلاة والسلام، وكان عليه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: (قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) (الأنعام: ١٦١- ١٦٣).

وقد نفى الله تبارك وتعالى عن نبيه إبراهيم اليهودية والنصرانية، فقال تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (آل عمران: ٦٧).

ومن هنا أمر الله نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يتّبع ملة إبراهيم فقال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (النحل: ١٢٠- ١٢٣).

وليس يلزم من كونه -عليه الصلاة والسلام- أُمر باتباع ملة إبراهيم الحنيفية أن يكون إبراهيم أكمل منه فيها؛ لأن نبينا -عليه الصلاة والسلام- قام بها قيامًا عظيمًا، وأكملت له إكمالًا تامًا لم يسبقه أحد إلى هذا الكمال؛ ولهذا كان هو سيد ولد آدم علي الإطلاق -صلوات الله وسلامه عليه- وقد أثنى الله ثناءً عامًا على كل من اتّبع ملة إبراهيم عليه السلام ونبينا وأمته داخلون في هذا الثناء: قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) (النساء: ١٢٥). قال ابن كثير: (وَمَنْ أَحْسَنُ دينًا مَمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله)، أي:

أخلص العمل لربه فعمل إيمانًا واحتسابًا، وهو مُحسن، أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذان الشرطان لا يصحُّ عمل عامل بدونهما، أي: يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون متابعًا للشريعة فيصح ظاهره بالمتابعة، وباطنه بالإخلاص، فمتى فقد العمل أحد هذين الشرطين فسد، فمتى فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراؤون الناس، ومن فقد المتابعة كان ضالاً جاهلاً، ومتى جمعهما كان عمل المؤمنين (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ) (الأحقاف: ١٦). ولهذا قال تعالى: (واتّبع ملّة إبْراهيمَ حنيفًا) وهم محمد وأتباعه إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: (إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ) (آل عمران: ٦٨). (تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ج١، ص٧٦٩).

وبناءً على ما سبق أقول: إن الله رضي لنا الإسلام دينًا، وأرسل إلينا محمدًا صلى الله عليه وسلم نبيًا، وأمرنا باتّباعه؛ فيجب علينا أن نرضى بما رضيه الله لنا، وأن نتسمّى بما سمانا الله به «المسلمون»، وكلمة التوحيد قد وحّدت الناس تحت شعار واحد، ألا وهو الإسلام، وعليه فلا يجوز في الشرع أن يتسمّى المسلم بغير ذلك، أو يلقّب نفسه بلقب لم يرد به الشرع، فلا يصح إطلاق المسلم على نفسه بأنه خارجيّ، أو مرجئ، أو أشعريّ، أو معتزلي، أو إخواني، أو تبليغي، أو صوفي؛ لأن هذه الألقاب لم يرد بها الشرع، وأهل الإسلام ليس لهم رَسْم سوى الكتاب والسنة والسَّير على منهاج النبوة، وهم كما وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي». (رواه الترمذي ٢٦٤٠، وأبو داود ٤٥٩٦)

الخاصية الثالثة:
الإسلام دين عالمي:

عالمية الإسلام من أبرز خصائصه، فهو الدين الذي يخاطب الناس كافة، كما يخاطب الجن. قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (الأعراف: ١٥٨).

وفي حديث أبي هريرة عند مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وأرسلت للخلق كافة». (صحيح مسلم: ٥٢٣). كما أخبر الله تبارك وتعالى أنه أرسله إلى الجن فقال: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) (الأحقاف: ٢٩). فقد أخبر الله في هذه الآية أنه صرف نفرًا من الجن يستمعون القرآن من النبي عليه الصلاة والسلام، ولما انتهى من قراءته رجعوا إلى قومهم مخوّفين لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ويتابعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخاصية الرابعة:
الإسلام دين الفطرة:

خلق الله عباده حنفاء على فطرة سوية، ودين الإسلام هو الدين الذي يتوافق مع الفطرة البشرية، لأن الخلق خلق الله، والشرع شرعه، وعليه فلا يتعارضان ولا يتناقضان، ولذلك نشاهد ونسمع إقبال الناس على الإسلام دون مزيد جهد أو دعاية كافية.

الخاصية الخامسة:
الشمول والتوازن:

الإسلام دين شامل ينتظم في جنباته مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشمل كل ما يحتاج الناس إليه في أمر دينهم ودنياهم، إلى جانب التوازن الذي هو سمة بارزة في دين رب العالمين، فهو يجمع بين مطالب الروح والجسد، وتشريعات الإسلام حافظت على هذا التوازن، فالله تبارك وتعالى أمر بعبادته وحده، كما أمر الإنسان بأن يهتم بنفسه وأولاده ومجتمعه، وجعل ذلك نمطًا من التعبد المأمور به لله تعالى، (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (القصص: ٧٧)، وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «فإن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا، وأن لزوجك عليك حقًا، وإن لزورك (ضيفك) عليك حقًا». (صحيح البخاري: ١٩٧٥).

فما أعظم الإسلام وأجمله، والله أسأل أن يثبتنا على هذا الدين، وألا يقبضنا إلا وهو راضٍ عنا غير غضبان.

باب التفسير

سُورَةُ الْحُجُرَات

الحلقة الأخيرة

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

قال الله تعالى: (إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ)

(الحجرات: ١٥ - ١٨).

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، ما يزال الحديث متصلاً عن تفسير آيات سورة الحجرات، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

من شروط الإيمان اليقين:

إنما المؤمنون حقًا الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا؛ أي لم يشكوا، ولم يتطرق إلى قلوبهم ريب، ولم تفتنهم الشبهات والشكوك، التي يثيرها أعداؤهم ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا، إنما آمنوا ثم ثبتوا على الإيمان فلم يبدلوا ولم يغيروا، كما قال تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟) (فصلت: ٣٠)، أي ثم استقاموا على هذه الكلمة، ثم استقاموا على الإيمان، ثم استقاموا على التوحيد، فلم يلبسوا إيمانهم بظلم، إنما استقاموا على الدين الخالص والتوحيد الصافي، وأقاموا الدين كما أمرهم الله، ولم يروغوا روغان الثعلب.

الجهاد في سبيل الله:

(وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله):

والجهاد في سبيل الله أمر الله به، كما أمر بالصلاة، والصيام، والزكاة، وغيرها من الفرائض، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ) (الحج: ٧٧ - ٧٨). فأمر سبحانه بالجهاد في سبيله كما أمر بالركوع والسجود وفعل الخير، ذلك أن الجهاد في سبيل الله فريضة من فرائض هذا الدين، وركن من أركان هذا الإسلام، بل إن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، كما صرح بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد» (صحيح الترمذي: ٢٦١٦).

وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ترك الجهاد من موجبات الذل والهوان، فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» (صحيح أبي داود: ٢٩٥٦).

جهاد النفس:

والجهاد في سبيل الله فرع عن أصل، والأصل هو جهاد النفس، فإذا لم يجاهد العبد نفسه على فعل ما أمرت بفعله، وترك ما أمرت بتركه، إذا لم يجاهدها على ذلك، ولم يحاربها من أجله، فلا يمكنه أن يجاهد

أعداء الله في الخارج، وكيف يمكن للإنسان أن ينتصر على عدوه الخارجي وعدوه الداخلي قاهر له، متسلط عليه، لا يمكن أبدا الانتصار على الأعداء في الخارج إلا بعد الانتصار على أعداء الداخل، والعدو الداخلي هو النفس، فوجب البدء بجهاد النفس قبل جهاد الأعداء، فذان عدوان أمرت بجهادهما أيها المسلم.

جهاد الشيطان:

وهناك عدو ثالث بين هذين العدوين، يصدك عن جهادهما ويقعدك عن محاربتهما، ألا وهو الشيطان، فكانت محاربة الشيطان هي الأصل، وجهاده هو الأساس لجهاد النفس والأعداء، ولذا قال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) (فاطر:٦).

فأعداؤك يا عبد الله ثلاثة: نفسك، والشيطان، والعدو الخارجي، وهذا الثالث قسمان: الكفار والمنافقون، وأرباب الظلم والبدع والمنكرات، وقد فرض الله عليك جهاد هؤلاء جميعا، ووعدك بمغفرة الذنوب، وتكفير السيئات، ورفع الدرجات، وأن يمدك بمدده، وينصرك على أعدائك:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ⑩ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ⑪ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ⑫ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (الصف: ١٠- ١٣).

مراتب الجهاد:

والآن يا عبد الله وقد عرفت أعداءك، وعلمت أن جهادهم واجب عليك، فكيف تجاهدهم؟ قال العلماء-رحمهم الله-: الجهاد على أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

أما جهاد النفس: فعلى أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم، والذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها، وإنما مدح العلم لأنه يؤدي إلى العمل، والعمل ثمرة العلم، والعلم بغير عمل كالشجرة بغير ثمرة، ومن تعلم ولم يعمل فإنه يعذب في النار والعياذ بالله، كما صحت بذلك الأحاديث.

عن أسامة بن زيد t قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان؟! ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (صحيح البخاري: ٣٢٦٧).

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانيا حتى يعرف الحق، ويعمل به، ويعلمه، فمن علم، وعمل، وعلم، فذاك يدعى عظيما في ملكوت السماوات.

وأما جهاد الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر. قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة: ٢٤).

وأما جهاد الكفار والمنافقين فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخص باليد، وجهاد المنافقين أخص

باللسان.

وأما جهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات فثلاث مراتب: باللسان، واليد، والقلب.

فهذه ثلاث عشرة مرتبة من مراتب الجهاد، و «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق». (صحيح مسلم ١٩١٠).

ولما بين سبحانه وتعالى حقيقة الايمان، شهد لمن حققها بالصدق، فقال: (أولئك هم الصادقون)، أي الذين صدقوا في ادعاء الايمان، لظهور أثر الصدق على جوارحهم، وتصديق أفعالهم أقوالهم. (محاسن التأويل: ١٥/١٤٢).

ثم أمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لأولئك الأعراب وأمثالهم قولا آخر، لما ادعوا أنهم مؤمنون، فقال: (قل أتعلمون الله بدينكم) أي أتخبرونه بذلك: حيث قلتم آمنا، (والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض)، فكيف يخفى عليه بطلان ما تدعونه من الايمان، (والله بكل شيء عليم)، لا يخفى عليه من ذلك خافية، وقد علم ما تبطنونه من الكفر، وتظهرونه من الاسلام، لخوف الضر، أو رجاء النفع. (فتح البيان: ٦/٣٨٨).

فإن كنتم مؤمنين فالله يعلم، وإن كنتم غير ذلك فالله يعلم، فلم تمنون على رسول الله بإسلامكم، وتقولون: لنا عليك حق، (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين).

الإيمان من نعم الرحمن:

إن الايمان من أجل نعم الله سبحانه على المسلم، (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) (النحل: ٥٣)، (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) (النحل: ١٨)، ولكن أجل هذه النعم وأعظمها وأكبرها وأفضلها نعمة الايمان، وما قيمة الحياة من غير إيمان؟! وما قيمة العبد من غير إيمان؟! إن الحياة بغير إيمان حياة بهيمية، بل إن البهائم خير من الكافر، كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ) (البينة: ٦)، وقال تعالى: (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (الأنفال: ٥٥).

فإذا من الله على العبد بالايمان فليعرف لله فضله، ولا يمن على الله ورسوله بإيمانه، فلولا الله ما اهتدينا، ولا تصدقنا ولا صلينا، ولذا قال تعالى حكاية عن أهل الجنة: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) (الأعراف: ٤٣).

ثم أكد سبحانه وتعالى على علمه بالأشياء كلها، خفيها وجليها، فقال: (إن الله يعلم غيب السماوات والأرض) يقول تعالى ذكره: إن الله -أيها الأعراب- لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم، وتحدثون به أنفسكم، ويعلم ما غاب عنكم فاستتر في خبايا السموات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك.

(والله بصير بما تعملون) يقول تعالى: والله ذو بصر بأعمالكم التي تعملونها، أجهرا تعملون أم سرا، طاعة تعملون أو معصية؟ وهو مجازيكم على جميع ذلك، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. (جامع البيان: ٢٦/١٤٦).

البصر صفة لله:

و(بصير) فعيل بمعنى مفعل، وهو دال على ثبوت صفة البصر له سبحانه، على الوجه الذي يليق به.

وفي الحديث عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) (النساء: ٥٨) فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه. (صحيح سنن أبي داود: ٣٩٥٤).

ومعنى الحديث: أنه سبحانه يسمع بسمع، ويرى بعين، فهو حجة على الأشاعرة الذين يجعلون سمعه علمه بالمسموعات، وبصره علمه بالمبصرات، وهو تفسير خاطئ، فإن الأعمى يعلم بوجود السماء ولا يراها، والأصم يعلم بوجود الأصوات ولا يسمعها. (شرح العقيدة الواسطية، للهراس: ٥٠).

وبذلك نكون قد وصلنا إلى نهاية سورة الحجرات وإلى سورة أخرى لنا لقاء إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

(٢)

شركات توظيف الأموال والطعن في الاقتصاد الإسلامي

إعداد **د. أيمن خليل**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد ذكرنا في المقال السابق قصة نشأة شركات توظيف الأموال، وأن شركات توظيف الأموال عُرفت في باكستان، ونُقلت فكرتها إلى مصر عبر العاملين بالمملكة العربية السعودية بعد الطفرة البترولية، وساعدها على النجاح الحظر الذي فرضته الحكومة المصرية على تداول العملات الأجنبية ووجود السوق السوداء، والتفاوت الكبير في سعر العملات الأجنبية فيهما، وهو ما جعل من شركات توظيف الأموال القناة البديلة التي تتسرب فيها تحويلات العاملين بالخارج.

كما ذكرنا أن هذه الشركات استغلت خراب ذمم بعض رجال السياسة والإعلام الذين زينوا للعامة الإيداع لدى هذه الشركات، كما أنهم تزيوا بلباس الدين، واستغلوا إصرار المسؤولين على إجبار المواطنين على التعامل بالربا من خلال البنوك الربوية دون إيجاد بدائل شرعية مباحة للتعامل معها، وكانت هذه الشركات تعمل في وضح النهار وتنشر إعلاناتها في الجرائد الرسمية وفي التليفزيون الحكومي، ومن ثمَّ ازدهرت شركات توظيف الأموال، وتوقفنا عند انهيار شركات توظيف الأموال وهو ما نعرض له في هذا المقال.

انهيار شركات توظيف الأموال:

تضافرت عوامل عديدة تسببت في انهيار شركات توظيف الأموال، ومن ذلك:

أزمة الذرة الصفراء عام ١٩٨٧م:

ازدهرت تربية الدواجن في مصر حتى بلغت خامس مصدر للدخل في مصر، ولأن محصول الذرة هو المحصول الرئيس كعلف للدواجن، ونتيجة الحاجة لتدبير عملة صعبة لشراء الذرة من الخارج فقد تمت الشراكة بين شركة الريان وبنك التنمية والائتمان الزراعي عام ١٩٨٦/١٩٨٧م

لاستيراد صفقة الذرة الصفراء، وقد تمت هذه الشراكة رغم صدور القانون رقم ٨٩ لعام ١٩٨٦م الخاص بتنظيم بعض حالات دعوة الجمهور إلى الاكتتاب العام، والذي نصت المادة الأولى منه على أنه لا يجوز لأي شخص طبيعي أو معنوي بغير موافقة سابقة من وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية، وبناء على عرض مجلس إدارة الهيئة العامة لسوق المال توجيه دعوة إلى الجمهور للاكتتاب العام في أية أوراق مالية أو حصص أو مشاركات أو أداء مبالغ من النقود مقابل عائد أو مزايا مادية، وهو ما يعني حظر نشاط شركات توظيف الأموال قانونًا، ولكن تحت ضغط قلة العملة الحرة بيد الحكومة المصرية، تمت هذه الشراكة، ولكن تسببت ممارسات هذه الشركات في حدوث أزمة الذرة الصفراء، والتي كانت بداية المشاحنات بين شركات توظيف الأموال والحكومة المصرية، وتسببت أزمة الذرة الصفراء فيما عُرف بصحوة الحكومة المصرية ومطاردة الريان، وبدأت حرب إعلامية وخاصة من مجلة الأهرام الاقتصادي ضد هذه الشركات ومعاونيها.

> "تسببت ممارسات هذه الشركات في حدوث أزمة الذرة الصفراء، والتي كانت بداية المشاحنات بين شركات توظيف الأموال والحكومة المصرية."

صراع شركات توظيف الأموال والجهاز المصرفي:

طرحت أزمة الذرة الصفراء تساؤلا مفاده: لماذا عجز الجهاز المصرفي عن مساندة الحكومة في استيراد السلع الرئيسة بينما نجحت شركات توظيف الأموال في ذلك؟

وكان الجواب: من الواقع -آنذاك- أن شركات توظيف الأموال عرّضت الجهاز المصرفي للتقلص بل وتعرّضت بعض البنوك لإنهاء نشاطها، وخاصة مع تزامن ذلك مع أزمات القروض التي نشأت عن هروب رجال الأعمال بالقروض المتحصلة من هذه البنوك، ولكن كانت بداية الصراع الظاهر بين الجهاز المصرفي وشركات توظيف الأموال حينما حاولت إحدى هذه الشركات شراء أحد البنوك، ولكن رفض البنك المركزي ذلك رفضًا قاطعًا؛ حيث بدا أن هذه الشركات لو تحولت إلى بنوك لابتلعت الجهاز المصرفي في مصر، وبات جليًا أن بقاء الجهاز المصرفي رهين بالقضاء على هذه الشركات فلا وجود لأحدهما إلا بفناء الآخر، ولأن شركات توظيف الأموال في مصر كانت تعمل بغير غطاء قانوني، وبغير دراسات علمية أو كوادر مدربة كالتي يستعين بها الجهاز المصرفي، فضلاً عن انتفاء التعاطف من جانب الحكومة المصرية مع هذه الشركات؛ فكان الصراع مع الجهاز المصرفي مؤذنًا بفناء هذه الشركات.

الأزمة المالية العالمية عام ١٩٨٧م وأثرها على شركات توظيف الأموال:

شهدت بورصة وول ستريت بنيويورك أزمة حادة في ١٩ أكتوبر عام ١٩٨٧م عرفت باسم "الإثنين الأسود" (وننوه إلى أنه لا يجوز إطلاق هذا المسمى للحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل: "يُؤْذِينِي ابْنُ آدم يَسُبُّ الدَّهْرَ وأنا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ"، وهذا الحديث متفق عليه، فالمرء إن قال عن اليوم أنه يوم أسود اعتقادًا أن اليوم فاعل مع الله فهذا قدح في عقيدته، وإن سب اليوم لكونه ظرفا للمكروه فقد سب مخلوقا لا يستحق السب).

فقد شهدت بورصة وول ستريت انخفاضًا متتاليًا في أسعار تداولاتها المالية لم يسبق حدوثها من قبل، فاندفع المستثمرون إلى بيع أسهمهم مما أدى إلى انخفاض مؤشر داوجونز بمقدار ٥٠٨ نقاط في يوم واحد -وهو ضعف ما شهدته البورصة عام أزمة ١٩٢٩م-، وهو ما أثر في باقي البورصات العالمية وكانت الخسائر كبيرة، وسارع حملة الأسهم إلى التخلص من الأسهم التي في حوزتهم تجنبًا لمزيد من الانخفاض في أسعارها، فنتج عن عرض كمية كبيرة من هذه الأسهم مع انخفاض قيمة الدولار إلى انخفاض أسعار الأسهم، وازداد انخفاض ثمن الأوراق المالية بصورة متتالية وزادت كمية المعروض للبيع منها لكن دون وجود مشترين وهو ما أدى إلى انهيار بورصات الأوراق المالية؛ حيث فقدت معظم الأسهم في السوق

جانبًا كبيرًا من قيمتها، حيث فقد مؤشر داو جونز الصناعي، الذي يضم ٣٢ سهمًا من الأسهم الممتازة -التي تعرف بذات Blue - chip الحافة الزرقاء- المدرجة في بورصة نيويورك ٥٠٨ نقاط، ليغلق على انخفاض بنسبة ٢٢,٦ ٪ من قيمته، وهو ما أدى إلى إحداث أكبر انخفاض لـ "داو جونز" في عدد نقاط المؤشر في التاريخ، وهو ما حدا بالرئيس الأمريكي رونالد ريجان إلى مخاطبة الشعب الأمريكي مؤكدًا أن ما يحدث في البورصة يدعو إلى الغرابة؛ حيث إنه لا يوجد في الاقتصاد ما يبرر مثل هذا الانهيار، ودعا الأمريكيين إلى الهدوء وعدم الاستسلام للذعر، وهو ما يؤكد بالفعل أن البورصة منبتة الصلة عن الواقع.

وقد أدى انهيار الأسواق المالية في أكتوبر ١٩٨٧م إلى خسارة مقدارها ٢٠٠٠ مليار دولار (ألفا مليار أو تريليونان من الدولارات) كان منها نحو ٤٠٪ في البورصات الأمريكية؛ حيث حققت الأسهم المقيدة ببورصة نيويورك فقط خسارة في قيمتها السوقية مقدارها ٥٠٠ مليون دولار في يوم واحد وهو المعروف بيوم الاثنين الأسود.

وأدى انهيار ١٩٨٧م إلى صدمة في النظام المالي، ليس فقط بسبب حجم الانخفاض في الأسعار، لكن بسبب تأثيره في إضعاف طريقة عمل بورصة الأوراق المالية، فقد كان حجم الطلبات في بعض الأوقات كبيرًا لدرجة أن المتخصصين في سوق نيويورك اضطروا إلى إيقاف التعامل على بعض الأسهم بصورة مؤقتة، وهو ما انتقل أثره إلى سوق المستقبليات، وقدرت الخسائر في قيمة الأسهم في هذا اليوم ١٩/١٠/١٩٨٧م، بنصف تريليون دولار محيت من ثروة المتعاملين في السوق خسارة المتعاملين ببورصة وول ستريت لمبلغ ٥٠٠ مليار دولار في يوم واحد ينبئ عن حجم الخسارة الفادحة، فهذا المبلغ شديد الضخامة اليوم؛ إذ هو كفيل بأن ينقل دول بأكملها إلى الرخاء الاقتصادي، وهو يعادل ميزانية عدة دول عربية وافريقية مجتمعة الآن، فكيف به آنذاك.

> “من أهم ما أفرزته هذه الأزمـة أنـها أظهرت محورية دور الدولة في استقرار الاقتصاد فمجرد صدور بيان مقتضب يـؤكـد أن الدولة ستتدخل لحل هـذه الأزمــة عــادت الثقة إلى الأسواق.”

تدخل الحكومة الأمريكية لإعادة الثقة إلى البورصة:

وهكذا أصبح من الواضح أن استمرار الأوضاع على ما هي عليه سيكرر لا محالة انهيار ١٩٢٩م، ولذلك في صبيحة يوم الثلاثاء ٢٠ أكتوبر وقبل بدء عمليات التداول في أسواق المال أصدر "الاحتياطي الفيدرالي" بيانًا قصيرًا، تضمن أن الاحتياطي الفيدرالي انطلاقًا من التزاماته كبنك مركزي للدولة يؤكد اليوم أنه مستعد لتوفير السيولة اللازمة لدعم النظامين الاقتصادي والمالي، كان لهذا البيان مفعول السحر في الأسواق؛ حيث ساعد على تهدئة قلق المستثمرين في السوق، وأدى إلى المساعدة على تهدئة الأسواق ودعمها.

ومن أهم ما أفرزته هذه الأزمة أنها أظهرت محورية دور الدولة في استقرار الاقتصاد فمجرد صدور بيان مقتضب يؤكد أن الدولة ستتدخل لحل هذه الأزمة عادت الثقة إلى الأسواق، ورغم ذلك تجاهلت إدراة ريجان ذلك ومضت في سياستها الليبرالية شديدة التجاهل لدور الدولة الاقتصادي، كما أبانت بجلاء عن عوار القطاع المالي في الاقتصاد الرأسمالي والذي انهار على هذا النحو غير المبرر في هذا الزمن اليسير، ليؤكد أن هؤلاء المتعاملين لو كانوا حقا شركاء ما تخلصوا من هذه الأسهم عند أول نازلة بحثًا عن مصلحتهم الفردية.

وقد أثرت الأزمة المالية العالمية عام ١٩٨٧م -والتي فقد فيها مؤشر داوجونز نحوًا من ٣٠٪ من قيمته- على شركات توظيف الأموال؛ وذلك لأنهم كانوا يقومون بالمضاربة في البورصة، فكان من الطبيعي أن تتبخر أموال المودعين في قاعة البورصة؛ حيث تبين أن تلك الشركات التي تزعم أنها إسلامية كانت تضارب بأموال المودعين في معاملات آجلة في البورصات على الأسهم (رغم أن هذه المعاملة تشتمل على مقامرة ظاهرة)، كما كانت تتداول سندات القروض رغم أنها سندات ربوية محرمة لا يجوز التعامل عليها في المعاملات العاجلة، فضلًا

عن المعاملات الآجلة لأن التعامل بها نسيئة يجعل المعاملة مشتملة على بيع الكالئ بالكالئ (أي بيع الدين بالدين)، وهي محرمة بالإجماع، كما كانت هذه الشركات تتعامل مع البنوك الألمانية والإنجليزية معاملات ربوية محرمة، بل إن فتحي الريان كان يؤكد دون مواربة أن له أربع شركات خارج البلاد منها اثنتان بجنيف إحداهما خاصة بتجارة الحبوب، والأخرى خاصة بالمضاربات في العملات الأجنبية والأسهم والسندات.

> “انتهت هذه الشركات بصدور القانون رقم ١٤٦ لعام ١٩٨٨م بشأن الشركات العاملة في مجال تلقي الأموال لاستثمارها والذي قضى على هذه الشركات نهائيًا.”

وكانت الخاتمة حينما أصدرت الجمعيات العامة لهذه الشركات قراراتها باعتبار كل الأموال التي تم منحها للمودعين منذ الإيداع بمثابة سلفة يتم خصمها من أصول ودائعهم وأموالهم إذا أرادوا استرداد أموالهم بزعم أنها لم تحقق أرباحًا، انتهت هذه الشركات الشركات بصدور القانون رقم ١٤٦ لعام ١٩٨٨م بشأن الشركات العاملة في مجال تلقي الأموال لاستثمارها والذي قضى على هذه الشركات نهائيًا، لتتولى الحكومة بنفسها إدارة هذه الشركات والتصرف في أصولها، فقامت الحكومة بصرف مبلغ ١٠٪ من أصول المبالغ المودعة لدى هذه الشركات ثم أصدرت صكوكا بدون فائدة [illegible] لا تصرف إلا في نهاية السنوات الخمس، ولكن كشف الواقع أن التقديرات التي تمت لأصول هذه الشركات تمت وفقًا لقيمتها الدفترية وليست السوقية مما أدى تقديرها على نحو يختلف عن قيمتها الحقيقية.

وبذلك انتهت رحلة شركات توظيف الأموال بتبديد القدر الأعظم من مدخرات المودعين، وما تبقى منها إما تحصل أصحابها على سلع عينية تمت المغالاة في تقدير قيمتها، أو حصل على نقود تآكلت قيمتها بفعل التضخم، ونتيجة تأخير استحقاقها خمس سنوات، لتطوى بذلك أزمة شركات توظيف الأموال التي أضاعت مليارات الجنيهات على صغار المستثمرين وصغار المدخرين.

ولكن لم يقف الأمر عند هذا الحد؛ فقد استغل هذه الحادثة المبغضون لكل ما هو إسلامي ليطعنوا في الاقتصاد الإسلامي؛ حيث جعلوا من شركات توظيف الأموال الأنموذج للاقتصاد الإسلامي (وذلك دون سند لذلك الافتراء)، وبدلا من أن يلقوا باللوم على الحكومة التي تركت هذه الشركات تتعاظم دون تنظيم قانوني لها، وتركتها تعلن عن أنشطتها المختلفة في وسائل إعلامها، بل ودخلت معها في مشاركات كما حدث في تمويل الذرة الصفراء.

وبدلا من إلقاء اللوم على المسؤولين الذين كانوا أبواقًا لهذه الشركات لقاء المنافع المالية التي حصلوا عليها (والتي سميت إعلاميًا آنذاك بكشوف البركة)، وبدلا من لوم المودعين الذين لم يتفكروا في عدم منطقية الحصول على هذا القدر من الأرباح شهريًا بغير مبرر منطقي لذلك، ودون وجود نشاط صناعي أو زراعي أو تجاري يبرِّر ذلك، ودون لوم أصحاب هذه الشركات الذين ضاربوا في البورصات الأجنبية في معاملات لا يقرها الشرع، وكانوا أشبه بتجار [illegible] لوم المجتمع الذي دبَّ فيه الوهن، وظهرت فيه طبقات طفيلية لا تقيم للعمل وزنًا، وإنما همّها تحصيل المال من أيِّ سبيل، حتى فشت الأنشطة غير المفيدة للمجتمع، وكثرت جموع السماسرة المنتفعين من الطبقات الطفيلية والمروجين لأنشطتهم؛ إذا باللوم ينصرف إلى الاقتصاد الإسلامي لينتهي هؤلاء المغرضون إلى إنكار وجود مسمى الاقتصاد الإسلامي، وينكرون أن يكون الإسلام قد عرف نظامًا اقتصاديًا؛ حيث إن الاقتصاد كما يزعمون علم حديث النشأة، وهو ما يدعونا أن نعرض لهذه الفرية لنفنِّدها بمشيئة الله تعالى في لقاء قريب.

والحمد لله رب العالمين.

بدع أُحدثت في رجب

الشيخ: صلاح محمد رزق

عدد رجب، ١٤٠٦هـ

بسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فكما فضَّل الله تعالى بعض الناس على بعض، فضَّل كذلك بعض الأزمنة على بعض، وبعض الأماكن على بعض، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

فمن الأيام التي فضلها الله تعالى يوم عرفة وشرع لنا فيه عبادة معينة هي صيام يومه- لغير الحاج-، وأخبرنا أنه يكفِّر السنة الماضية والباقية، كما جاء في صحيح مسلم، عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في صيام عاشوراء: «إني لأحتسب على الله أن يكفر السنة الماضية».

ومن الليالي: ليلة القدر شرع لنا قيامها بقوله صلى الله عليه وسلم: «ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه». (متفق عليه).

فهذه أيامٌ وليالٍ فضلها الله تعالى وحثنا الإسلام فيها على طاعة معينة وعبادة خاصة فضلاً من الله تعالى لمضاعفة أجورنا وكثرة ثوابنا عليها، ومن الليالي ما لم يُؤمر فيها بعبادة خاصة ولا طاعة معينة مثل ليلة الإسراء والمعراج رغم أن الإسراء والمعراج من آيات الله الدالة على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى عظم منزلته عند الله عز وجل، كما أنها من الدلائل على قدرة الله الباهرة وعلى علوه سبحانه على جميع خلقه كما قال تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الإسراء: ١).

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في تعيينها حديث صحيح، وكل ما ورد في تعيينها غير ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بالحديث، وحتى لو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بعبادة معينة ولا أن يحتفلوا بها؛ لأنها من الليالي التي لم يشرع الله لنا فيها طاعة خاصة ولا احتفالاً من أجلها، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يحتفل بها ولا أصحابه من بعده، ولو كان الاحتفال بها مشروعًا لبيَّنه النبي صلى الله عليه وسلم إما بالقول أو بالفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعُرف واشتهر ولنقله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فقد نقلوا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم كل شيء تحتاجه الأمة ولم يفرطوا في شيء من الدين، بل هم السابقون إلى كل خير، فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعًا لكانوا أسبق الناس إليه، فلما لم يقع شيء من ذلك عُلم أن الاحتفال بها وتفضيلها ليس من الإسلام في شيء، خاصة وأن الله تعالى أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة، وأنكر على من شرع من الدين ما لم يأذن به الله؛ لقوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (المائدة: ٣)، وقال تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» (الشورى: ٢١).

ومن البدع التي أحدثها المبتدعون في الدين

بالنسبة لشهر رجب: صلاة تسمى صلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب، واستدلوا على ذلك بحديث باطل لم يصح كما قال الإمام النووي في كتاب المجموع: «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة- هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ولا يغتر بذكرهما في كتاب: قوت القلوب، وإحياء علوم الدين، ولا بالحديث المذكور فيهما؛ فإن كل ذلك باطل، وقد صنّف الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابًا نفيسًا في إبطالها فأحسن فيه وأجاد».

ناهيك عن بدعة أخرى أشد شناعة وقبحًا وهي خروج النساء ومبيتهن في المقابر ليلة أول جمعة من رجب في بعض الأمصار، وما يصحب ذلك من الاختلاط والفساد، قال صاحب كتاب السنن والمبتدعات: «وقراءة قصة المعراج والاحتفال بها في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب بدعة، وتخصيص بعض الناس لها بالذكر والدعاء بدعة، والأدعية التي تقال في رجب وشعبان ورمضان كلها مخترعة مبتدعة، والإسراء لم يقم دليل على ليلته ولا على شهره، ومسألة ذهابه صلى الله عليه وسلم ورجوعه ليلة الإسراء ولم يبرد فراشه لم تثبت بل هي أكذوبة من أكاذيب الناس». انتهى كلامه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في صلاة ليلة سبع وعشرين من شهر رجب وأمثالها: «فهذا غير مشروع باتفاق أئمة الإسلام كما نص على ذلك العلماء المعتبرون، ولا ينشئ مثل هذا إلا جاهل مبتدع». ويقول صاحب كتاب السنن والمبتدعات ما نصه: «وقصة المعراج المنسوبة إلى ابن عباس كلها أباطيل وأضاليل، ولم يصح منها إلا أحرف قليلة وقصة ابن السلطان الرجل المسرف الذي كان لا يصلي إلا في رجب، فلما مات ظهرت عليه علامات الصلاح، فسئل عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: إنه كان يجتهد ويدعو في رجب. هذه قصة مكذوبة مفتراة تحرم قراءتها وروايتها إلا للبيان».

أما بالنسبة للصيام في رجب وما ابتدعه الناس فيه: فقد قال الحافظ ابن حجر في كتابه بيان العجب مما ورد في فضل رجب: «ولم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ، وكذلك رويناه عن غيره».

وقال الإمام ابن القيم: «ولم يصم صلى الله عليه والسلام الثلاثة الأشهر سردًا كما يفعله بعض الناس ولا صيام رجب قط ولا استحب صيامه بل روى عنه النهي عن صيامه». رواه ابن ماجه، وفي كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث للإمام أبي شامة: «أن الصديق أنكر على أهله صيامه وأن عمر كان يضرب بالدرة صوامه، ويقول: إنما هو شهر كانت تعظّمه الجاهلية».

وحديث أن في الجنة نهرًا يقال له رجب ماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل من صام يومها من رجب سقاه الله من ذلك النهر، قال في أسنى المطالب: قال ابن الجوزي: لا يصح، وقال الذهبي: باطل، وكذا قال ابن حجر في تبين العجب وابن شامة في الباعث.

وحديث صوم أول يوم من رجب كفارة ثلاث سنين، والثاني كفارة سنتين والثالث كفارة سنة، ثم كل يوم شهرًا. ذكره في الجامع عن الخلال وضعّفه، وقال شارحه: إسناده ساقط.

وحديث فضل رجب على سائر الشهور كفضل القرآن على سائر الكلام. حديث موضوع.

وفقنا الله وجميع المسلمين لاتباع السنة والثبات عليها، وجنّبنا البدع والضلالات إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

زواج التجربة شروط فاسدة وتمرد على الفضيلة

إعداد جمال سعد حاتم

الحمد لله الذي خلق فسوى وقدَّر فهدى، وخلق الزوجين الذكر والأنثى، جعل للناس من أنفسهم أزواجًا ليسكنوا إليها، وجعل بينهم مودة ورحمة، وبعدُ:

ففي الآونة الأخيرة امتلأت أجهزة الإعلام ووسائل التواصل بإطلالة تحمل حلاً -كما زعموا- لظاهرة تفاقمت وازدادت واستفلحت في المجتمع المصري، فأرادوا تقديم الحلول لها وهي مشكلة ازدياد حالات الطلاق، فاخترعوا لنا «زواج التجربة»، وذلك بإضافة شروط في عقد الزواج فيها تحديد فترة للتجربة ما بين ثلاث إلى خمس سنوات يستمر أو يفترق بعدها الزوجان؛ مدَّعين أن ذلك العقد لوضع حدٍّ لانتشار الطلاق بين الأزواج في السنوات الأولى من الزواج، مما أشعل نقاشا مجتمعيًا في مصر لمناقشة هذا الأمر الخطير.

زواج التجربة.. وزواج المتعة

فتنة جديدة أطلت برأسها على مجتمعنا المصري في الآونة الأخيرة عنوانها الرئيس: «زواج التجربة»، والتي تعتمد فكرتها على عقد شروط مدني منفصل عن وثيقة الزواج ينص على تحديد فترة زمنية معينة، يدعي أن هدفه التغلب على الخلافات الزوجية لدى حديثي الزواج، حيث يرى صاحب المبادرة أن شروط الطرفين تؤدي إلى تقييد الحقِ في الطلاق بشكل قانوني ولا تحرم حلالاً، ولا تُحل حرامًا!

وما طُرح في هذا العقد قد لاقى رفضًا من كافة المؤسسات الدينية، كما وصفوه بأنه صورة تشبه زواج المتعة عند الشيعة، حيث يُوَقّتون هذا الزواج بوقت معين محدد بأيام أو أشهر أو سنوات، ثم يتم الانفصال.

المقاصد الشرعية للزواج

جعل الشرع الحنيف من الزواج ميثاقًا غليظًا، فلا يجوز العبث به، واشتراط عدم وقوع انفصال بين الزوجين لمدة خمس سنوات أو أقل أو أكثر فيما يسمى بزواج التجربة، اشتراط فاسد لا عبرة به، واشتراط إنهاء عقد الزواج بانتهاء مدة معينة، يجعل العقد- إن وقع- محرمًا.

إن المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وما ذكره أهل العلم في الأحكام المتعلقة

بعقد النكاح يظهر له بوضوح اهتمام الشريعة الإسلامية بعقد النكاح، وتربية الزوجين على مراعاة هذا العقد، واستشعار أهميته ومكانته، كما جاءت به الأحكام الشرعية المنظمة لهذا العقد ضمانة له، وحماية لجنابه من العوارض التي قد تعترض سبيله.

فمن ذلك قول الله تعالى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» (الروم: ٢١).

ووجه الاستدلال بهذه الآية: أن الله سبحانه وتعالى قد امتنَّ على عباده بنعمة الزواج، وما يتضمنه من السكينة والمودة والرحمة، ووصف الله تعالى عقد النكاح بأنه ميثاق غليظ، قال الله تعالى: «وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا» (النساء: ٢٠، ٢١). أي: أخذ منكم عهدًا وميثاقًا وهو حق الصحبة والمعاشرة، أو ما أوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى: «ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ» (البقرة: ٢٢٩).

كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «اتقوا الله في النساء؛ فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» (رواه مسلم).

قال ابن القيم رحمه الله: «النكاح صلة بين الزوجين يتضمن عشرة ورحمة وسكنًا وازدواجًا، وهو مثل الأخوة والصلة والموالاة، ونحو ذلك من الصلات التي تقتضي رغبة كل واحد من المتواصلين في الآخر، بل هو من أوكد الصلات، فإن صلاح الخلق وبقاءه، لا يتم إلا بهذه الصلة بخلاف تلك الصلات فهي مكملاتٌ للصالح».

فالزواج في الإسلام آية من أعظم آيات الله سبحانه، ومنظومة متكاملة تحفظ حقوق الرجل والمرأة، وبقاء زواجهما وسعادتهما، وتحفظ ما ينتج من زواجهما وعلاقتهما داخل إطاره من أولاد.

ومن أهم نتائج نجاح هذه المنظومة، هو قيام عقد الزواج بين الرجل والمرأة على نية الديمومة، والاستمرار والتحمل الكامل لمسؤولياته كافة، لا أن يقوم على التجربة.

ومن جانب آخر كفل الإسلام لكل من طرفي العقد الشرعي -الحرَّين البالغين العاقلين الرشيدين- حق إنهاء عقد الزوجية المنعقد بينهما في أي وقت استحالت فيه العشرة بينهما، دفعًا لضرر محقق لا يُحتمل مثله عادةً.

وجعل الشرع الحنيف حلَّ هذا العقد بيد الزوج عن طريق الطلاق، أو بيد الزوجة وطلبها عن طريق الخُلع، أو القاضي عند الترافع إليه لرفع الضرر عن المرأة مع حفظ حقوقها الشرعية.

الاشتراط في عقد الزواج

والاشتراط في عقد الزواج على ثلاثة أقسام:

أولها: شروط صحيحة ونافذة، ويجب الوفاء بها وهي تلك الشروط التي لا تعارض بينها وبين مقتضيات عقد الزواج؛ كاشتراط المرأة ألا يُخرجها زوجها من دارها، وألا يُسافر بها، ومثل هذه الشروط لا حرج فيها، وعلى اشتراطها، وعلى مَن اشترطها أن تطالب زوجها بها، بل ويُسوِّغ عدم الوفاء بها إنهاءَ للعقد وإنهاء للزواج؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (الإسراء: ٣٥).

ويقول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «أحق الشروط أن يُوفى بها ما استحللتم به الفروج». (متفق عليه). (الملخص الفقهي، للفوزان).

وشروط باطلة في ذاتها ولكن لا يلزم من بطلانها بطلان الزواج الذي اشتمل عليها، وهي الشروط المنافية لعقد الزواج ومقتضياته، أو التي يسقط حقًا من حقوقه، أو واجبًا من واجباته، كاشتراط الرجل ألا يُعطي المرأة مهرًا، وألا يكون لها نفقة؛ أو كاشتراط المرأة ألا يطأها زوجها، فكل هذه شروط باطلة لكونها تحرِّم حلالاً أو تقيده، لهذا فإنه لا يجب الوفاء بها.

وذلك مع الحكم بصحة عقد الزواج لقول

رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «المسلمون على شروطهم، إلا شرطا حرّم حلالا أو أحل حرامًا». (أخرجه الترمذي).

والنوع الثالث: من أنواع الشروط، شروط باطلة في ذاتها وتنسحب على عقد الزواج الذي اشتمل عليه بالبطلان، كاشتراط مدة معينة للزواج ينتهي بعدها؛ إذ هو بهذا يعد زواج متعة مؤقت باطل ومحرّم.

فعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال: حدثنا الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المتعة، وقال: «ألا إنها حرام من يومكم هذا إلى يوم القيامة، ومن كان أعطى شيئًا فلا يأخذه» (رواه مسلم).

ومن المعلوم أن شريعة الإسلام قد اتسمت بالمرونة والواقعية، ومناسبة أحوال الناس على اختلافها، ففي الوقت الذي عظّمت فيه من شأن رابطة الزواج، ودعت إلى تقويتها، ونسجت منظومة متكاملة لحمايتها ووقايتها، فإنها في نفس الوقت لم تحرّم الانفصال، إن وُجد سبب حقيقي يدعو إليه، مع إعطاء الزوجين الفرصة تلو الأخرى من خلال تشريع العدة والرجعة مما يجعل تأقيت الانفصال افتئاتًا على حق الزوجين في اختيار الأنسب لحياتهما.

موقف الأزهر والإفتاء من زواج التجربة

وقد كان للمجامع الإسلامية في مصر وعلى رأسها الأزهر الشريف ولجانه وعلمائه ولجان الفتوى ودار الإفتاء، وقفة أسدلت الستار على القضية التي شغلت الرأي العام مؤخرًا في مصر والتي عُرفت باسم «زواج التجربة» بعد أن حسمها الأزهر الشريف كعادة الأزهر في مثل تلك المواقف، حفظ الله أزهرنا وشيخه وعلماءه الأجلاء، ودار الإفتاء، حيث اتفقوا على أن شرط تحديد مدة الزواج يبطله.

وقد أهابت تلك المجامع بجميع فئات المجتمع، عدم الانسياق وراء دعوات حداثة المصطلحات في عقد الزواج التي يكمن في طياتها حُب الظهور والشهرة وزعزعة قيم المجتمع مما يحدث في مجتمعنا حالة من الفوضى وعدم الاستقرار، ويؤثر سلبًا على معنى استقرار الأسرة وتماسكها، وهو ما حرص عليه ديننا الحنيف.

وأكدت المجامع في ردها على دعوات المبتدعين مما سموه بزواج التجربة: إن هذا المسمى الجديد لعقد الزواج رغم حداثته، وحداثة مسماه فإنه يحمل معاني سلبية دخيلة على قيم المجتمع المصري المتدين، الذي يأبى أن يخالف الشرع أو القيم الاجتماعية، فالزواج في الإسلام عقد مصون عظّمه الشرع الشريف، وجعله صحيحًا بتوفر شروطه وأركانه، وانتفاء موانعه شأنه كشأن سائر العقود.

ومن جانبه أكد علماء الأزهر على أن زواج التجربة الذي يروّج له البعض هو صورة تشبه زواج المتعة عند الشيعة؛ حيث يُوقّتون لهذا الزواج بمدة زمنية، ثم يتم الانفصال.

وأكد الأزهر الشريف أن بعض ما جاء في وثيقة الزواج المزعومة هو اشتراط فاسد لا عبرة به.

مؤكدين على أن الزواج آية من أعظم آيات الله سبحانه، وميثاق سماه الله سبحانه ميثاقًا غليظًا، ومنظومة متكاملة تحفظ حقوق الرجل والمرأة، وبقاء زواجهما وسعادتهما، وتحفظ ما ينتج من علاقتهما داخل إطاره من أولاده.

ومن أهم دعائم نجاح هذه المنظومة هو قيام عقد الزواج بين الرجل والمرأة على نية الديمومة والاستقرار والتحمل الكامل لمسؤولياته.

وينبغي أن يُعلم أن مثل هذه الظواهر- الطلاق وغيرها - التي تنتشر في المجتمع ينبغي قبل وضع حلول فردية أن تعرض على المؤسسات المختصة لإبداء الرأي الشرعي الصحيح فيها قبل أن تُعرض على الناس؛ حتى لا تؤدي إلى حدوث فتن في المجتمع.

نسأل الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يبصّرنا بصحيح أعمالنا، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب
السنة

الرضا بالقضاء والقدر عبادة وسعادة

الحلقة الثانية

إعداد:
د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين؛ سيدنا محمد رسول الله وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه ومن والاهم إلى يوم الدين.

وبعد: فلقد بدأنا في شرح حديث صهيب رضي الله عنه في شهر سابق، ولأهمية الحديث وما يتعلق من أحوال تمر بها البلاد ويحتاج إليها العباد رأيت استكماله مختصرًا بما لا يورث الكلام مللاً، ولا يبتر الفوائد خللاً، وبما يُرجى أجره اتباعًا ويُتقى وزره هوى مطاعًا، والله المستعان.

الحديث:

عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، قال: قال رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليْهِ وسلَّم: "عَجَبًا لأمْرِ المُؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليْسَ ذاكَ لأحَدٍ إلَّا للْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا لهُ، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا لهُ".

التخريج:

صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، رقم: ٥٤٥٢.

معنى الحديث مختصرًا للفائدة: إذ قد تقدَّم شرحه مفصلاً فليراجع تفضلاً:

كل حال المؤمن خير؛ فهو سعيد في كل أحواله؛ إذ هو في جميعها مأجور، في سرائه وضرائه، فالمؤمن يتردد بين هذا وذاك، وذلك اتباعًا لما وصف للمؤمنين على لسان خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم؛ فالله عز وجل يقيّض له من الأسباب ما يحصل له بها في ذنوبه تكفيرًا ووضعًا، وفي درجاته سموًا ورفعةً، وكله من الرحمن فضلاً، سواء كان ذلك مما يُجريه عليه رب العزة من أمور سارة تستوجب لله شكرًا أو من أمور

ظاهرها بلاء يستوجب من العبد صبرًا، ولهذا ذكر النبي المؤمن؛ إذ هو الذي من شأنه أن يؤدي عبادة الشكر والصبر، فهو يعرف نعمه عليه وفي جميع أحواله يلتجئ إليه، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن بخلاف غير المؤمن فهو جحود إذا رُزق بنعمة جذوع إذا ابتلي ببلية؛ فلا يزال في بُعده وغيه واعراضه وكفره؛ فالحمد لله على نعمة الاسلام. (ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم، فتح المنعم شرح صحيح مسلم لموسى شاهين لاشين بتصرف في الألفاظ والعبارات).

> “المؤمن يؤدي عبادة الشكر والصبر، فهو يعرف نعم الله عليه وفي جميع أحواله يلتجئ إليه.”

مما يستفاد من الحديث

أولاً: حُسن الظن بالله:

إنَّ من أهم ما يُستفاد من هذا الحديث المبارك هو حُسن الظن بالله تعالى وهي عبادة قلبية وواجب من واجبات التوحيد الحتمية ولولاها ما رضي العبد بقضاء ربه فلا صبر ولا شكر والناظر لهذه العبادة العظيمة يرى رأي البصير أنها تنقل المؤمن المستنير من غياهب الظلمات والقنوط إلى أنوار العطايا والمنح والفرح فيرى في كل قضاء الله خيرًا، فيشكر على ما كان ظاهره الخير، ويصبر على ما ظاهره الشر، ثم يشكر على هذا الصبر فيكون في كافة أحواله مؤمنًا شاكرًا.

والمتأمل في أحوال المؤمنين في أوقات بلائهم يرى من جميل صبرهم ورفيع إيمانهم ودليله على حسن ظنهم يرى من جميع ذلك عجبًا، ومن ذلك:

١- حُسن ظن فتية الكهف بربهم، واستعلائهم وفرارهم بإيمانهم إلى كهف لم تكن فيه من قبل حياة وعددهم قليل قد لا يزيد على السبعة، والدنيا حولهم كافرة ولهم متنكرة، ثم هم مع هذا ينتظرون من الله ما وعدهم؛ إذ قد قال لهم وقوله الحق: (وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا) (سورة الكهف: ١٦)، فكان التدبير من الله بما لا يخطر على قلب بشر؛ حيث لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا، ثم يقومون فيجدون أنفسهم بين أحفاد مطارديهم مكرمين فسبحان العليم الحكيم. (فلتراجع القصة بتفاصيلها في تفسير سورة الكهف).

٢- حُسن ظنّ نبي الله أيوب بربّه لما صبر على البلاء حتى صار مضرب المثل في الصبر؛ صبر ثمانية عشر عامًا؛ فقد أهله وماله وصحته وجماله حتى رفضه القريب والبعيد إلا اثنين من خُلص أصحابه كانا يغدوان عليه ويروحان وزوجته وهو مع هذا صابر شاكر (كما رواه ابن حبان وصححه الحاكم عن الزهري عن أنس)، فكان من خبر الاثنين الخُلص أن قال أحدهما للآخر في يوم من الأيام: "ما أرى إلا أن أيوب أذنب ذنبًا عظيمًا ولا لكُشف عنه هذا البلاء"؛ فقال أيوب: لا أدري ما تقولان، غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق... إلى آخر القصة"، (وكذا أورده العلامة الألباني في الصحيحة)؛ فلم يشغله مرضه عن حُسن ظنّه بربّه وصبره، فيكفّر ليس عن نفسه بل عن غيره؛ كراهة أن يُحنث في اسم الله العظيم.

ومن قصص السلف ما يمتلئ بهذا بيانًا

ويدلل ببيانه على إيمانه؛ فلا يتسع المقام لذكره؛ فالحمد لله على كل حال.

من أجل هذا كان جُلّ حال هؤلاء السادة شكرًا؛ إذ هم تجاه قدر ربهم شاكرين لما ظاهره نعمة أو صابرين شاكرين لما غير ذلك؛ لعلمهم أن قضاء الله كله خير فهنيئًا لهم.

لذا كان من أحوالنا ما يستوجب وقفة تستدعي حُسْن ظن بالله لوعده لنا فيستوجب هذا الفهم شكرًا أمر به شرعنا وتعلمناه من أسلافنا، هذا الشكر لا نحتاج فيه إلى الخضر في كل موقف يصحبنا ليفسره لنا ولا لكل قضاء ظاهره مشكل علينا فيشرحه لنا، وهذا هو التسليم الواجب. (ينظر: مدارج السالكين للعلامة ابن القيم رحمه الله، منزلة الصبر ٢ج ص١٥٢).

ومما يستفاد كذلك من الحديث إجمالاً غير ما سبق بيانه:

١- الحث على الإيمان الذي من شأنه سعادة الدارين وخيرهما؛ إذ الإيمان يحمل صاحبه على حميد الأخلاق يتقلب بين مقام الشكر في السراء، ومقام الصبر في الضراء، وهو في كلتا الحالتين كاسبٌ للخير ثم هو على يقين من ربه أن بعد العسر يسرًا، وبعد الشدة فرجًا، وما عليه في ذلك إلا شرط الإيمان قلبًا وقالبًا.

٢- شكر المسلم لا يتوقف عند حدّ الأقوال، وإنما يكون مترجمًا إلى أفعال، فهو يفعل بنعم الله خيرًا، يقوم بحق هذه النعمة من لهج لسانه بالذكر والشكر ثم طاعة الله في ذات النعمة بالقيام بحق الله فيها؛ فلما كان الشكر إيمانًا فقد استوجب القول والعمل والاعتقاد.

٣- وأما غير المؤمن والعياذ بالله فهو لا شاكر ولا صابر، بل جاحد أو متضجر كافر، في كل أموره على شر، فإن أصابته ضراء لم يصبر وإن أصابته سراء لم يشكر المنعم، وصرف ما لله من حق العبادة لغيره، فعبدوا الطبيعة والبهيمة والصنم والفأرة وعبدوا الهوى والشيطان، فصار بذلك عن ذكر ربه معرضًا يعيش بسبب إعراضه دنياه ضنكًا ثم هو في أخراه أعمى ينسى قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ) (سورة طه: ١٢٤-١٢٦).

٤- الشكر والصبر من خصال الإيمان، وإن شئت فقل: الدين شكر وصبر كما قاله ابن القيم، وما عدا ذلك خارج عن الإيمان، وتوفيق الله للعبد للشكر سبب لزيادة النعمة، وتوفيقه للصبر سبب لتفريج الكربة، وبعد ذلك فهذه وتلك نعم تحتاج هي الأخرى إلى عبودية الشكر، وهكذا يحتاج الشكر لشكر فيعيش المؤمن متقلبًا في نعم الله أبدًا، وليس ذلك إلا للمؤمن. (ينظر: مدارج السالكين- منزلة الشكر ج٢ ص٢٣٣، وكذلك: الدرر السنية لعلوي السقاف).

همسة هي الخاتمة:

إن إنعام الله علينا وهدايته لنا إلى طريق العلم النافع والتوحيد الخالص والمنهج الصحيح كل ذلك يستوجب بذله شكرًا، والقيام بوظائفه عملاً، وإلا كان حُجّة علينا

> “ توفيق الله للعبد للشكر سبب لزيادة النعمة، وتوفيقه للصبر سبب لتفريج الكربة. ”

لا لنا: فتفضل الله علينا من وضوح الطريق نعمة تستوجب شكرها لتقييدها تستوجب تواضعًا وانكار ذات، وعبادة ودعوة ودعاء وتضرعًا، فلا يغرّن العامل عمله، ولا يغلبن الجاهل هواه، وذلك خلافًا لمن كانت قبلته طريقته يترك بها دينه وعراه متبعًا شيخه وشهوته، ثم هو لجهلاء متبعيه مضللاً وعلى ألسنتهم يوصف واصلاً، ولعريهم وكشف عوراتهم يكون مكرمًا وليس ما كتبه الشعراني الصوفي الضال عن المنصفين ببعيد فليطلع على بعضه في كتابه كرامات الأولياء ليحذر ويحذر منه.

وليس أدل على صحيح شريعتنا شريعة الإسلام وبطلان طريقتهم طريقة غير الفاهمين ليس أدل على ذلك من هدي سيد المتعبدين صلى الله عليه وسلم: لما غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقوم حتى تتورم قدماه لربه على النعمة شكرًا وعلى مشقة الوقوف صبرًا؛ فعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن النبي كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت له: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحبَ أن أكون عبدًا شكورًا" (متفق عليه).

> إنعام الله علينا وهدايته لنا إلى طريق العلم النافع والتوحيد الخالص والمنهج الصحيح كل ذلك يستوجب بذله شكرًا، والقيام بوظائفه عملاً.

هذا وفي كل قضاء الله خير: ففي بلاء العالم بهذا المرض المستحدث خير للمؤمنين على ما كان من فقد حبيب يكون إن شاء الله بنيته وعقيدته واقتدائه من رسوله بسنته يكون إن شاء الله شهيدًا؛ فسبحان الله لقد أنفق الدعاة إلى الله أعمارهم وأعمالهم يدعون إليه، ويدلون الناس عليه وهذا منهم معروف يُذكر ليشكر، وشكرنا لهم يكون دعاء، والله تبارك تعالى يعلم ويرى؛ فجزاهم الله خيرًا، غير أننا بعد ذلك نعتبر بمخلوق لا يُرى، ولا تكمل أركان كينونته كائنًا حيًا فيوصف أنه مادة نووية لا عقل لها ملفوفة في غلاف كما قال أهل التخصص، فسبحان القوي الشديد الفعَال لما يريد قال في محكم التنزيل (وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ) (الحج: ٧٣).

وفي هذا القدر الكفاية، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى والد زوجة الزميل الشيخ: أحمد عبد الهادي، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة. وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ.

اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

الحلقة (٤٢)

فقه المرأة في النكاح

(٢)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فقد تحدثنا في المقالة السابقة عن شرطين من شروط النكاح وهما، تعيين الزوجين، والولي، ونستكمل بعض الأحكام المتعلقة بفقه النكاح سائلين الله عز وجل أن يتقبل جهد المقل وأن ينفع به المسلمين.

أولاً: ما المراد بالولي؟

المراد بالولي هو الأقرب من العصبة من جهة النسب ثم من جهة السبب، وليس لذوي السّهام ولا لذوي الأرحام ولاية، وهذا مذهب الجمهور.

وروي عن أبي حنيفة أن ذوي الأرحام من الأولياء، فإذا لم يكن ثمَّ ولي أو كان موجودًا وعضل، انتقل الأمر إلى السلطان لأنه ولي من لا ولي له، لما روي عن عائشة مرفوعًا وفيه: «فالسُّلْطانُ وَليّ مَنْ لا وَليَّ لهُ» صحيح سنن أبي داود (٢٠٨٣) وصحيح الترمذي (١١٠٤) وصحيح ابن ماجه (١٨٧٩).

أقوال أهل العلم في بيان من هم الأولياء:

جاء في العناية شرح الهداية (٢٨٥/٣): "(ولغير العصبات من الأقارب) يعني كالأخوال والخالات والعمات (ولاية التزويج عند عدم العصبات) أي عصبة كانت سواء كانت عصبة يحل النكاح بينه وبين المرأة كابن العم أو لم يحل كالعم ومولى العتاقة وعصبته من العصبات، ثم عند أبي حنيفة بعد العصبات الأم ثم ذوو الأرحام الأقرب فالأقرب".

وجاء في المدونة الكبرى (١٠٥/٢): "قال سحنون: أكان مالك يقول إذا اجتمع الأولياء في نكاح المرأة أن

إعداد **د/عزة محمد رشاد (أم تميم)**

بعضهم أولى من بعض؟ قال ابن القاسم: قال مالك: إن اختلف الأولياء وهم في القعود سواء، نظر السلطان في ذلك، قال وإن كان بعض أقعد من بعض فالأقعد أولى بإنكاحها عند مالك، قلت فالأخ أولى أم الجد؟ قال: الأخ أولى من الجد عند مالك، قلت: فابن الأخ أولى أم الجد في قول مالك؟ قال: ابن الأخ أولى، قلت: فمن أولى بإنكاحها الابن أم الأب؟ قال مالك: الابن أولى بإنكاحها وبالصلاة عليها".

وجاء في الحاوي الكبير (٩/٩١-٩٢): "قال الشافعي: ولا ولاية لأحد مع الأب، فإن مات فالجد ثم أبو الجد ثم أبو أبي الجد كذلك لأن كلهم أب في الثيب والبكر سواء. قال الماوردي: اعلم أن الولاية في النكاح تكون للأب ثم لمن ناسب الأب ولا يستحقها بالنسب من لم يرجع بالنسب إلى الأب... فإذا انقرض عمود الآباء كانت الدرجة الأولى بني الأب وهم الإخوة وعمودها بنوهم وإن سفلوا.

والدرجة الثانية: بنو الجد وهم الأعمام وعمودها بنوهم وإن سفلوا.

والدرجة الثالثة: بنو أبي الجد وهم أعمام الأب

وعمودها بنوهم وإن سفلوا، وكذلك بنو أب بعد أب حتى ينقرض بنو جميع الآباء... فإذا تقررت هذه القاعدة في ترتيب العصبات لاستحقاق الولاية فأول درجة ينتقل إليها الولاية بعد الآباء الإخوة.

والإخوة ثلاثة أقسام: إخوة لأب وأم، وإخوة لأب، وإخوة لأم.

فأما الإخوة للأم فلا ولاية لهم سواء اجتمعوا مع غيرهم من العصبات أو انفردوا؛ لأنهم لما أدلوا بالأم ولم يرجعوا بنسبهم إلى الأب خرجوا من جملة العصبات المناسبين فلم يكن لهم ولاية.

وقال ابن قدامة في المغني (٦/٣٢١): "بعد أن ساق تفصيل مسألة الأولياء. وجملته: أن الولاية بعد من ذكرنا تترتب على ترتيب الإرث بالتعصيب، فأحقهم بالميراث أحقهم بالولاية فأولاهم بعد الآباء بنو المرأة ثم بنوهم وإن سفلوا ثم بنو أبيها وهم الإخوة ثم بنوهم وإن سفلوا ثم بنو جدها وهم الأعمام ثم بنوهم وإن سفلوا ثم بنو جد الأب وهم أعمام الأب وإن سفلوا ثم بنو جد الجد ثم بنوهم وعلى هذا لا يلي بنو أب أعلى من مع بني أب أقرب منه وإن نزلت درجتهم.

ولا ولاية لغير العصبات من الأقارب كالأخ من الأم والخال وعم الأم والجد أبو الأم ونحوهم نص عليه أحمد وهو قول الشافعي وإحدى الروايتين عن أبي حنيفة.

وفي (ص: ٣٢٢) قال: لا نعلم خلافًا بين أهل العلم في أن للسلطان ولاية تزويج المرأة عند عدم أوليائها أو عضلهن وبه يقول مالك والشافعي وإسحاق وأبو عبيد وأصحاب الرأي والأصل فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم «فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ».

تعقيب وترجيح:

بعد عرض أقوال أهل العلم أرى رجحان مذهب الجمهور من أن أولياء المرأة في الزواج هم العصبة، وليس للخال ولا للإخوة لأم ولا لوالد الأم ولا لذوي الأرحام ولاية.

فيكون الأولياء هم: الأب وإن علا والابن وإخوة المرأة لأب وأم أو لأب، وبنوهم وإن سفلوا وعم المرأة وإن علا وبنو عمها وإن سفلوا والله تعالى أعلم بالصواب.

ثانيا: ترتيب الأولياء:

اختلف الفقهاء في ترتيب الأولياء على النحو التالي:

القول الأول: ذهب الحنفية إلى أن أولياء المرأة أبوها، ثم الجد بعد الأب قائم مقام الأب ثم الأخ لأب وأم، ثم الأخ لأب، ثم ابن الأخ لأب وأم، ثم ابن الأخ لأب، ثم العم لأب وأم، ثم العم لأب، ثم ابن العم لأب وأم، ثم ابن العم لأب على قياس ترتيب العصوبة.

القول الثاني: ذهب المالكية إلى أن من كان أقرب عصبة كان أحق بالولاية، والأبناء أولى وإن سفلوا، ثم الآباء، ثم الإخوة للأب والأم، ثم للأب، ثم بنو الإخوة للأب والأم، ثم للأب فقط، ثم الأجداد للأب وإن علوا.

القول الثالث: ذهب الشافعية إلى أنه يقدم الأب، ثم أبوه، ثم أبوه، إلى حيث ينتهي، ثم الأخ من الأبوين، أو من الأب، ثم ابنه وإن سفل، ثم العم من الأبوين، أو من الأب، ثم ابنه وإن سفل، ثم سائر العصبات. والترتيب في التزويج، كالترتيب في الإرث.

القول الرابع: أحقهم بالميراث أحقهم بالولاية، فأولاهم بعد الآباء بنو المرأة، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنوا أبيها وهم الإخوة، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنو جدها وهم الأعمام، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنو جد الأب وهم أعمام الأب، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنو جد الجد، ثم بنوهم.

وجاء في المغني لابن قدامة (٧/١٦): "الولاية بعد من ذكرنا تترتب على ترتيب الإرث بالتعصيب، فأحقهم بالميراث أحقهم بالولاية، فأولاهم بعد الآباء بنو المرأة، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنوا أبيها وهم الإخوة، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنو جدها وهم الأعمام، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنو جد الأب وهم أعمام الأب، ثم بنوهم وإن سفلوا، ثم بنو جد الجد، ثم بنوهم، وعلى هذا لا يلي بنو أب أعلى مع بني أب أقرب منه وإن نزلت درجتهم، وأولى ولد كل أب أقربهم إليه؛ لأن مبنى الولاية على النظر والشفقة، وذلك معتبر بمظنته، وهي القرابة، فأقربهم أشفقهم. ولا نعلم في هذا خلافا

بين أهل العلم".

ثالثا: هل للابن ولاية لتزويج أمه؟

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء: الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أن للابن أن يزوج أمه.

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- ما روي عَنْ أمِّ سلمةَ، لما انْقَضَتْ عدَّتُها، بَعَثَ إلَيْها أبُو بكر يخطُبُها عليْه، فلَمْ تَزَوَّجْهُ، فبعَثَ إلَيْها رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ عُمَرَ بْنَ الْخطاب يَخْطُبُهَا عَلَيْه، فَقَالَتْ: أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ أَنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى، وَأَنِّي امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدٌ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: " ارْجِعْ إِلَيْهَا فَقُلْ لَهَا: أَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَى، فَسَأَدْعُو اللَّه لَكِ فَيُذْهِبُ غَيْرَتَكِ، وَأَمَّا قَوْلُكِ إِنِّي امْرَأَةٌ مُصْبِيَةٌ، فَسَتُكْفَيْنَ صِبْيَانَكِ، وَأَمَّا قَوْلُكِ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدٌ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ وَلَا غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ ". فَقَالَتْ لِابْنِهَا: يَا عُمَرُ، قُمْ فَزَوِّجْ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، فَزَوَّجَهُ.(سنن النسائي الكبرى (٥٣٧٥)، والصغرى(٣٢٥٤)، صحيح ابن حبان (٢٩٤٩)، سنن البيهقي الكبرى(١٣٧٥٢) المستدرك على الصحيحين (٢٧٣٤)).

٢- ولأن الابن أولى بالميراث وأقوى تعصيبًا فجاز له أن يزوج أمه- المغني (١/٧).

القول الثاني: ذهب الشافعية إلى أن الابن لا يزوج أمه- أسنى المطالب في شرح روض الطالب (١٢٩/٣).

واستدلوا على ذلك بما يأتي:

١- أن المرأة لا ولاية لها على نفسها، والولد جزء منها فلا يثبت له الولاية عليها- الإقناع (٤١٢/٢)، أسنى المطالب (١٢٩/٣).

٢- أنه لا مشاركة بين الابن وأمه في النسب فلا يعتني بدفع العار عن النسب ولهذا لم تثبت الولاية للأخ من الأم.

أقوال العلماء في المسألة:

أولا: من قال بأن الابن يزوج أمه:

جاء في البناية شرح الهداية (٩٣/٥): "والترتيب في العصبات في ولاية النكاح كالترتيب في الإرث فأقرب الأولياء الابن، ثم ابنه وإن سفل، ثم الأب، ثم الجد وإن علا".

جاء في القوانين الفقهية (ص: ١٣٤): "والمقدم من الأقارب الابن ثم ابنه وإن سفل ثم الأب ثم الأخ ثم ابنه ثم الجد ثم العم ثم ابنه وقيل الأب أولى من الابن".

جاء في المغني لابن قدامة (٣٢٠/٦): "متى عدم الأب وآباؤه فأولى الناس بتزويج المرأة ابنها ثم ابنه بعده. وجملته أنه متى عدم الأب وآباؤه، فأولى الناس بتزويج المرأة ابنها، ثم ابنه بعده وإن نزلت درجته، الأقرب فالأقرب منهم. وبه قال أصحاب الرأي. وقال الشافعي: لا ولاية للابن إلا أن يكون ابن عم، أو مولى، أو حاكما، فيلي بذلك، لا بالبنوة؛ لأنه ليس بمناسب لها، فلا يلي نكاحها كخالها، ولأن طبعه ينفر من تزويجها، فلا ينظر لها".

ثانيًا: من قال بأن الابن لا يزوج أمه:

جاء في الأوسط لابن المنذر (٣٠٥،٣٠٤/٨): "وقالت طائفة: الأب أولى من الابن، وليس للابن أن يزوجها إلا أن يكون من عصبتها ويكون أقرب إليها. هكذا قال الشافعي، وقال أحمد: أحقهم بالمرأة أن يزوجها أبوها ثم الابن، وحكي عن النعمان قول ثالث، وهو إن من زوجها منهما جائز".

تعقيب وترجيح:

بعد عرض أقوال أهل العلم أرى رجحان مذهب الجمهور من أن للابن أن يزوج أمه؛ لقوة ما استدلوا به، ولأن الابن أولى بالميراث وأقوى تعصيبًا فجاز له أن يزوج أمه، والله تعالى أعلم بالصواب.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ : **صبَّاح محمود جميل** ، إمام وخطيب بالأوقاف بمحافظة الشرقية . غفر الله له ورحمه رحمة واسعة. وتتقدم أسرة تحرير المجلة بخالص العزاء . عنهم الأستاذ / **محمد محمود فتحي** الذي يتقدم بخالص العزاء لأسرة الشيخ ومحبيه. اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

ولله الأمثل الأعلى سبحانه وتعالى

إعداد **مصطفى البصراتي**

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

ففي هذا العدد نتكلم عن مثل من الأمثال القرآنية، وهو في سورة الروم، وهو في الآية (٢٧)، قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُا۟ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) (الروم: ٢٧).

المعنى الإجمالي:

أكد سبحانه ما يدل على إمكانية البعث فقال تعالى: «وَهُوَ الذي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ» أي: وهو سبحانه الذي يبدأ الخلق بدون مثال سابق، ثم يعيد هذه المخلوقات بعد موتها إلى الحياة مرة أخرى للحساب والجزاء.

والضمير في قوله: «وهو أهون عليه» للإعادة المفهومة من قوله: «ثم يعيده»، وتذكير الضمير باعتبار المعنى؛ أي: والعود أو الرد أو الإرجاع أهون عليه، أي وهو سبحانه وحده الذي يخلق المخلوقات من العدم، ثم يعيدها إلى الحياة مرة أخرى في الوقت الذي يريده، وهذه الإعادة للأموات أهون عليه أي أسهل عليه من البدء، وهذه الأسهلية على طريقة التمثيل والتقريب بما هو معروف عند الناس من إعادة الشيء من مادته الأولى أسهل من ابتدائه والمراد بذلك التقريب لعقول الجهلة المنكرين للبعث، وإلا فكل الممكنات بالنظر إلى قدرته سواء، وقصارى ذلك أنه أهون عليه بالإضافة إلى أعمالكم وبالقياس إلى أقداركم.

ثم قال تعالى: «وَلَهُ المَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ» أي: وله الوصف البديع في السماوات والأرض، وهو أنه لا إله إلا هو، ليس كمثله شيء، تعالى الله عن الشبيه والنظير «وهو العزيز الحكيم» أي: وهو العزيز الذي يُغالب ولا يُغلب، الحكيم في تدبير خلقه، وتصريف شؤونهم فيما أراد وفق الحكمة والسداد. (مستفاد من تفسير الوسيط للشيخ سيد طنطاوي، وتفسير المراغي، بتصرف).

معاني المفردات:

«وهو الذي يبدأ الخلق»: معناه ينشئه ويخرجه من العدم، وجاء الفعل بصيغة الحال لما كان في هذا ما قد مضى كآدم وسائر القرون، وفيه ما يأتي في المستقبل، فكأن صيغة الحال تعطي هذا كله.

«ثم يعيده»: يبعثه من القبور وينشئه تارة أخرى.

«وهو أهون عليه»: أي هين لا يستصعبه أو أهون عليه بالنسبة إلى قدرتكم، وعلى ما يقوله بعضكم لبعض، وإلا فلا شيء في قدرته بعضه أهون من بعض، بل كل الأشياء مستوية يوجدها بقوله كن فيكون.

«وله المثل الأعلى» أي: ثبت له، واستحق الشأن الأتم الذي لا يُقاس بشؤون الناس المتعارفة، وإنما لقصد التقريب لأفهامكم.

و«الأعلى»: معناه الأعظم البالغ نهاية حقيقة العظمة والقوة.

«في السماوات والأرض»: المعنى أنه سبحانه عُرف بالمثل الأعلى ووصف به في السماوات والأرض أي في هاتين الجهتين.

«وهو العزيز الحكيم»: وهو العزيز: الذي لا يُغالب ولا يُمانع، بل قد غلب كل شيء وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه.

الحكيم: في أقواله وأفعاله شرعًا وقدرًا. (معاني المفردات مستفادة من «فتح البيان» لصديق حسن- المحرر الوجيز لابن عطية-

التحرير والتنوير لابن عاشور- تفسير ابن كثير- بتصرف).

المعنى التفصيلي:

تقدم نظير صدر هذه الآية في هذه السورة، وأعيد هنا ليبني عليه قوله: «وهو أهون عليه» تكملة للدليل؛ إذ لم تذكر هذه التكملة هناك.

فهذا ابتداء بتوجيه الكلام إلى المشركين لرجوعه إلى نظيره المسوق إليهم، وهذا أشبه بالتسليم الجدلي في المناظرة؛ ذلك لأنهم لما اعترفوا بأن الله هو بادئ خلق الإنسان، وأنكروا إعادته بعد الموت واستدل عليهم هنالك بقياس المساواة، ولما كان إنكارهم الإعادة بعد الموت متضمنا تحديد مفعول القدرة الإلهية جاء التنازل في الاستدلال إلى أن تحديد مفعول القدرة لو سلم لهم لكان يقتضي إمكان البعث بقياس الأحرى؛ فإن إعادة المصنوع مرة ثانية أهون على الصانع من صنعته الأولى، وأدخل تحت تأثير قدرته فيما تعارفه الناس في مقدوراتهم.

وأتى بكلمة «يبدأ»؛ لأن الخلق مستمرٌ، كل يوم يكون فيه ابتداء خلق الأجنة في بطون الأمهات تنشأ كل يوم، وكم في الدنيا في اليوم الواحد من جنين يكون؟ كثير جدا، ولهذا أتى بالفعل المضارع الدال على الاستمرار ولم يقل: «بدأ».

وقوله تعالى: «ثم يعيده» يعني تم هو -أي الله عز وجل- يعيده، ومعنى الإعادة رده على ما كان أولا، كما في قوله تعالى: «كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ» (الأنبياء: ١٠٤)، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا كما بدئوا. رواه البخاري ومسلم. (تفسير ابن عثيمين).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد». وقال آخرون: كلاهما بالنسبة للقدرة على السواء. (انظر: تفسير ابن كثير وتفسير ابن عثيمين بتصرف).

وقوله تعالى: «وهو أهون عليه» (أهون): اسم تفضيل من (هان يهون)، واسم التفضيل يدل على أن الهون درجات، هين وأهون ودرجات الهون قد توحي بأن هناك مشقة لأنه لولا أن في بعضها مشقة ما صار بعضها أهون من بعض، ولذلك اختلف المفسرون في اسم التفضيل هنا «وهو أهون»، فقيل: إنه بمعنى هين «وهو أهون عليه» أي وهو هين عليه، وذهب بعض المفسرين: وهو أنه أهون عليه من البدء بالنظر إلى ما عند المخاطبين على أن إعادة الشيء أسهل من ابتدائه وأنهما عند الله تعالى سواءٌ في السهولة. (تفسير ابن عثيمين بتصرف).

وقال ابن مجاهد وعكرمة: المعنى: وهو أيسر عليه، وإن كان الكل من اليسر عليه في حيز واحد حال متماثلة قال: ولكن هذا التفضيل بحسب معتقدات البشر وما يعطيهم النظر في المشاهد من أن الإعادة في كثير من الأشياء أهون علينا من البداءة. (المحرر الوجيز لابن عطية).

وقوله: «وله المثل الأعلى في السموات والأرض»، أي: الصفة العليا، وهي أنه «لا إله إلا الله».

«له» خبرٌ مقدم، و«المثل» مبتدأ مؤخر، والمثل والمثل معناهما واحد ويطلق على عدة معان:

فيطلق على الشبه، كقوله تعالى: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا» (البقرة: ١٧)، يعني شبههم كشبه الذي استوقد نارًا.

ويطلق المثل على الصفة كقوله تعالى: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» (محمد: ١٥).

ويطلق المثل على الذات، قالوا كقوله تعالى: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (الشورى: ١١) يعني ليس كذاته، والمراد هنا بالمثل في قوله تعالى: «وله المثل الأعلى» الصفة أي له الصفة العليا في السماوات والأرض، كل صفة كاملة فلله سبحانه وتعالى أكملها، وكل صفة نقص فإنه منزه عنها؛ لأنه ما دام قد ثبت له الصفة الكاملة العليا، فإنه بالضرورة العقلية ينتفي عنه النقص، لأنه لو اتصف بنقص ما استحق أن يكون له المثلى الأعلى.

من فوائد الآية:

الفائدة الأولى: أن الخلق حادث بعد أن لم يكن يؤخذ من قوله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق»؛ فيكون في الآية ردٌ لقول الفلاسفة القائلين بقدم العالم والصواب أن العالم حادث بعد أن لم يكن لقوله تعالى: «وهو الذي يبدأ الخلق».

الفائدة الثانية: إثبات إعادة الخلق لقوله تعالى: «ثم يعيده».

الفائدة الثالثة: إثبات كمال الصفات لله لقوله تعالى: «وله المثل الأعلى في السموات والأرض».

الفائدة الرابعة: أن كل صفة وصف الله بها نفسه، فهي صفة كمال تؤخذ من قوله تعالى: «وله المثل»، فإذا أثبت لنفسه صفة علمنا أنها صفة كمال. (تفسير ابن عثيمين بتصرف).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفروق الفاصلة بين البدعة والمصلحة المرسلة

إعداد: معاوية محمد هيكل

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن أهمية معرفة الفروق بين المسميات الشرعية تكمن في التمييز بين الأمور المتداخلة في بعض أوجهها، وكذلك في تبصرة الجاهل الذي يظن تناقض الشريعة في أحكامها (وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا) (النجم: ٢٨).

فمعرفة الفروق من العلوم التي يمتاز بها أهل الفطنة والبصيرة عن غيرهم، حتى قال بدر الدين الزركشي رحمه الله: "من أنواع الفقه: معرفة الجمع والفرق، وعليه جلّ مناظرات السلف، حتى قال بعضهم: الفقه جمع وفرق" (المنثور في القواعد: ١٢/١).

وإن مما ضلت به أفهام كثير من الناس، ونتج عن ذلك الضلال في عباداتهم: عدم التفريق بين البدعة التي سمَّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلالة، وتوعَّد أهلها بنار جهنم، وبين المصلحة المرسلة التي لم يمنع منها الشارع الحكيم، ودعت إليها مصالح المسلمين، وصدَّقتها مقاصد الشريعة، وقام بها الخلفاء الراشدون ومن بعدهم من أهل العلم والفضل، فجُمع القرآن، وكُتبت دواوين الجيش، وأُنشئت المعاهد الشرعية وطبعت الكتب..

أولاً: البدعة تعريف وبيان:

هذه نبذة مختصرة في بيان حد البدعة وأقسامها، حتى لا يلتبس الأمر، وتختلط البدعة بالسنة المطهرة.

البدعة: هي ما أُحْدِثَ على غير مثال سابق، وهي على قسمين:

١) الأول: ما لا علاقة له بالدين، فهذه بدعة من جهة اللغة، كالطائرات والسيارات ونحو ذلك مما اخترع في هذه الأزمان، ولم يكن معروفًا من قبل. والأصل في هذه البدع أنها مباحة، ما لم تتعارض مع نصّ من نصوص الشريعة، فتأخذ حكمه وقتئذ.

٢) الثاني: ما له علاقة بالدين، وهو ما يُراد منه التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، لكنّه لم يوجد في العهد النبوي، مع وجود المقتضي لفعله ولم يُفعَل، ولم يكن ثمة مانع من فعله.

أما وجود المقتضي، فهو أن تتوفر دواعي الفعل،

لكنّه لم يُفعل، مثل ترك الأذان لصلاة العيد، وقد توفر الداعي لذلك، وهو دعوة الناس لهذه الصلاة كما يُدعون للصلوات الجامعة الأخرى.. فلما لم يأمر صلى الله عليه وسلم بالأذان، ولم يُفعل.. دلّ ذلك على أن الأذان لصلاة العيد بدعة محدثة.

وأما مسألة جمع القرآن -على سبيل المثال- فلم يوجد الداعي إلى جمعه في العهد النبوي؛ لأن الوحي مستمر في تنزيل القرآن، وإنما وُجِدَ في عهد أبي بكر رضي الله عنه عندما قتل جمعٌ من سادات الصحابة وقرّاء القرآن في معركة اليمامة، فخاف المُلهَم عمر -رضي الله عنه- أن يضيع شيء من القرآن، فأشار إلى أبي بكر أن يَجمعه في مصحف واحد، ففعل، فكانت حسنة من حسناته رضي الله عنه.

وأما انتفاء المانع، فهو أن يتوفر الداعي للفعل، لكن يمنع منه مانع ما، مثل اتخاذ مكبرات الصوت واسطة يُنقل فيها صوت المؤذن إلى أهل البلد، فقد كانت الحاجة لذلك موجودة، لكن منع منها عدم وجود تلك المكبرات في ذلك العهد.

وكذلك مثل مسألة اجتماع الناس في صلاة التراويح على إمام في المسجد، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي التراويح بالناس ثم ترك ذلك لمانع، وهو خشية أن تُفرض عليهم هذه الصلاة، فتشق على بعض المسلمين.. فلما انقطع الوحي بموت النبي صلى الله عليه وسلم، تنبه الفاروق رضي الله عنه إلى أن المانع من عدم الاجتماع للصلاة قد زال، فأمر أُبيّ بن كعب بأن يَؤمّ الناس، فكان جمعهم هذا إحياءً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فتبين مما سبق أن ما توفر الداعي لفعله في العهد النبوي، ولم يوجد مانع من الفعل، ثم لم يُفعل، فإن عدم الفعل هو السُّنّة، وفعله هو البدعة والضلالة.. قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن تَرْكَهُ صلى الله عليه وسلم سُنّة، كما أن فعْله سُنّة. (إعلام الموقعين: ٢/ ٣٩٠).

وقد جاءت الشريعة بالزجر عن البدع، مع بيان فسادها، وعدم انتفاع صاحبها منها. أما الزجر عنها ففي مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار". (صحيح سنن النسائي ١٥٧٧).

وأما فساد هذه (العبادة) وردّها، ففي مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ" (صحيح مسلم ١٧١٨)؛ وهذه البدع كلها مذمومة شرعًا، منهيّ عنها، باطل التعبُّد بها.. لا يخرج عنها بدعة من البدع المحدثة، وإن حَسُنَ قَصْد فاعلها، أو ظنّها حسنة.. فليس في دين الإسلام بدعة حسنة.

قال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: "كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة" (السنة للمروزي: ص٦٨)، قال العلامة الشاطبي -رحمه الله-: قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: "كل بدعة ضلالة" محمول عند العلماء على عمومه، لا يُستثنى منه شيء ألبتة وليس فيها ما هو حسن أصلاً" (فتاوى الشاطبي: ص١٨٠).

وقال ابن رجب -رحمه الله-: "فكل مَن أحدث شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين منه بريء" (جامع العلوم والحكم: ٢/ ١٢٨).

ثانيا: أقسام البدع:

وقد قسّم أهل العلم البدعة في الدين إلى قسمين:

الأول: البدعة الحقيقية: هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب، ولا من سُنّة، ولا من إجماع، ولا استدلال معتبر عند أهل العلم لا في الجملة ولا في التفصيل، ولذلك سُمّيَتْ بدعة؛ لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق" (الاعتصام ١/ ٢٨٦).

من أمثلة البدع الحقيقية:

١- بدعة التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالرهبانية، وترك التزوج مع وجود الأمور الداعية إليه، وعدم المانع الشرعي منه كرهبانية النصارى، والله عز وجل يقول: (وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ) (الحديد:٢٧)، وهذا استثناء منقطع، والمعنى: لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله.

٢- ومنها تعذيب النفس بألوان العذاب الشنيع والتمثيل الفظيع، كما يحصل من الهنود في الإحراق بالنار وغير ذلك، وكما يفعله الشيعة الروافض يوم عاشوراء من تعذيب أنفسهم، فهذه أيضاً من البدع الحقيقية التي لا يمكن أبدًا أن تندمج في الدين، ولا يمكن أبدًا أن يُباح للإنسان أن يُعذب نفسه بهذه الطريقة التي يفعلها الشيعة يوم عاشوراء من خدش الرؤوس والوجوه، ولطم الخدود، والنياح لقتل الحسين رضي الله تعالى عنه.

٣- ومنها تحكيم العقل في أخبار القرآن والسنة كما هو معروف في التيارات الاعتزالية دعاة المدرسة العقلية.

٤- ومنها الطواف حول الأضرحة، وإقامة الهياكل على القبور، وتعليق المصابيح حول الأضرحة، فهذه كلها لا يمكن أبـدًا من أي جهة أن تندمج بالشرع أو تكون لها شبهة من أدلة الشرع، بل هي بدعة محضة لا يمكن أن يكون لها أصل في الدين.

الثاني: البدع الإضافية:

وهي ما ثبت أصلها في الشرع، لكن الإحداث طرأ على تفاصيل أداء هذه العبادة؛ فالبدعة الإضافية لها شائبتان:

- إحداهما: لها من الأدلة متعلق، فلا تكون من هذه الجهة بدعة.
- والأخرى: ليس لها متعلق في الأدلة إلا مثل ما للبدعة الحقيقية، فالبدعة الإضافية هي باعتبار من الاعتبارات سنة، وباعتبار آخر بدعة، فهي غير خالصة لأحد الطرفين، ولذلك تسمى البدعة الإضافية يعني: حسب ما تُضاف إليه، فهي سنة بالنسبة لإحدى الجهتين، وبدعة بالنسبة للجهة الأخرى.

فسُنَّة من هذه الناحية؛ لأنها مستندة إلى دليل؛ وبدعة لأنها من الناحية الأخرى ليست مستندة إلى دليل شرعيّ ولا إلى حتى شبهة، بل غير مستندة إلى دليل أصلاً.

من أمثلة البدع الإضافية:

١- صلاة الرغائب، وهي من البدع المُحدثة في شهر رجب، وقد تظاهرت عبارات الفقهاء على القول بعدم مشروعيتها، وأنه لا دليل عليها.

يقول النووي: «الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي ثنتا عشرة ركعة تُصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة وهاتان الصلاتان بدعتان ومنكران قبيحان» (المجموع: ٥٦/٤).

وقال أيضًا: «قاتل الله واضعها ومخترعها؛ فإنها بدعة منكرة من البدع التي هي ضلالة وجهالة، وفيها منكرات ظاهرة. وقد صنَّف جماعة من الأئمة مصنَّفات نفيسة في تقبيحها وتضليل مصليها ومبتدعها، ودلائل قبحها وبطلانها وتضليل فاعلها أكثر من أن تحصر» (شرح مسلم: ٢٠/٨).

وقال ابن حجر الهيتمي: «أما صلاة الرغائب فإنها كالصلاة المعروفة ليلة النصف من شعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان، وحديثهما موضوع، فيكره فعلهما فرادى وجماعة» (فتاوى ابن حجر ٢١٧/١).

٢- ومنها صلاة بر الوالدين، وصلاة مؤنس القبر، وصلاة ليلة يوم عاشوراء، فهذا كله لم يثبت أبدًا في السنة بوجه من الوجوه، وهذا العمل من البدع الإضافية؛ لأنه تشوبه شائبتان، فالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل ثابت في الشرع، يقول عليه الصلاة والسلام: "الصلاة خيرُ موضوع، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر" (صحيح الترغيب: ٣٩٠)؛ فمن هذه الناحية هم يقولون: نحن نصلي ولا نعبث، ومن جهة أخرى: هذا لم يكن ثابتًا في السنة فهو بدعة من جهة، وسنة من جهة أخرى.

٣- ومنها الاجتماع والجهر بالأذكار كما هو مشهور عند الطرق الصوفية فيما يسمونه بحلقات الذكر، إلى غير ذلك.

ثالثًا: المصلحة المرسلة تعريف وبيان:

"المصلحة المرسلة" كلمة مركَّبة من موصوف وصفة؛ فالموصوف هو المصلحة، والصفة هي المرسلة.

ومعنى (المصلحة): كلُّ ما فيه صلاح ونفع للخلق في معاشهم أو في معادهم، سواء كانت مصلحة فردية أم جماعية، مادية أم معنوية، آنية أم مستقبلية.

ومعنى (المرسلة): أي المطلقة غير المقيَّدة، ونعني بها: المصلحة التي لم يدلَّ دليل خاصٌّ من نصوص الشرع على اعتبارها ولا على إلغائها فهي مطلقة من الاعتبار أو الإلغاء. (انظر الفروق للقرافي ١٠٧/٢).

أقسام المصلحة المرسلة باعتبار الأصل الذي تعود عليه بالحفظ:

١) مصلحة تعود إلى حفظ الدين.
٢) مصلحة تعود إلى حفظ النفس.
٣) مصلحة تعود إلى حفظ العقل.
٤) مصلحة تعود إلى حفظ النسب (العرض).
٥) مصلحة تعود إلى حفظ المال.

وهذه الأمور الخمسة تسمى:

"بالضروريات الخمس، وبمقاصد الشريعة، وهي الأمور التي عُرف من الشارع الالتفات إليها في جميع أحكامه، ويستحيل أن يفوتها في شيء من أحكامه، بل جميع التكليفات الشرعية تدور حولها بالحفظ والصيانة. (انظر: روضة الناظر ٤١٤/١ -

٤١٥، وشرح الكوكب المنير ١٥٩/٤ - ١٦٠، ومنهج التشريع الإسلامي وحكمته ١٧).

أدلة اعتبار المصلحة المرسلة:

من الأدلة على اعتبار المصلحة المرسلة:

١- عمل الصحابة رضي الله عنهم بها في وقائع كثيرة مشتهرة. ومن الأمثلة على ذلك تولية أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه الخلافة من بعده، وتدوين الدواوين في عهد عمر رضي الله عنه، واتخاذه أيضا دارًا للسجن بمكة. (انظر: المصالح المرسلة، للشنقيطي: ص١١، ١٢).

٢- أن العمل بالمصالح المرسلة مما لا يتم الواجب إلا به فيكون واجبًا. وذلك أن المحافظة على مقاصد الشريعة الخمسة ثبت بالاستقراء اعتبارها ووجوبها، وهذه المحافظة إنما تتم بالأخذ بالمصلحة المرسلة وبناء الأحكام عليها. (انظر: روضة الناظر ٤١٥/١، والمصالح المرسلة، للشنقيطي ٢١ - ٢٢).

رابعا: الفروق الفاصلة بين البدعة وبين المصلحة المرسلة:

١) البدعة وُجد الداعي إلى فعلها في عهد النبوة ولم تفعل، والمصلحة المرسلة لم يُوجد الداعي إلى فعلها في العهد النبوي.

مثال البدعة: الأذان لصلاة العيد، فقد وُجد الداعي لذلك في العهد النبوي (وهو دعوة الناس لهذه الصلاة)، ومع ذلك لم يؤذن للعيد، فيكون الأذان بدعة لا يجوز.

ومثال المصلحة المرسلة: جمع القرآن، فلم يكن الداعي لجمعه موجودًا في العهد النبوي؛ إذ لم يكن ثمة خشية من ضياع شيء منه، ولما وجد الداعي لجمعه بموت جَمْع من القراء في وقعة اليمامة، فجمعه أبو بكر رضي الله عنه، فكان مصلحة مرسلة، وفضيلة من فضائل الصدّيق.

٢) البدعة تكون في باب العبادات المحضة، فليست معقولة المعنى، والمصلحة المرسلة تكون في باب وسائط العبادة، فهي معقولة المعنى.

مثال البدعة: الأذكار الجماعية، فهي عند أربابها عبادة من أحسن العبادات، ويزعمون أن الملائكة تحفهم، والحقيقة أن الشياطين أولى بهم من الملائكة؛ إذ جعلوا ذكر الله لهوًا ولعبًا، وتمايلاً وغناءً..

ومثال المصلحة المرسلة: طباعة الكتب، فهي واسطة لحفظ العلم، وإيصاله إلى الناس، ولو وُجدت وسيلة أنفع منه، لصير إليها.

٣) البدعة يتعبد أصحابها بها لذاتها، والمصلحة المرسلة لا يُتعبَّد بها لذاتها.

مثال البدعة: الاحتفال بالمولد النبوي، فهو مقصود لذاته عند من يحتفل به، ويرون أنه من القربات إلى الله. وليس الأمر كذلك.

ومثال المصلحة المرسلة: إنشاء المعاهد والجامعات الشرعية، فلا يُتعبَّد لله بمجرد عمارة الجدران، وإنما كون هذا البناء سيكون سببًا في تعليم الناس ما لله عليهم من حقوق.

٤) البدعة عبارة عن زيادة في الدين، فهي تشريع، والمصلحة المرسلة هي ما يُحفظ به الدين، فهي محل اجتهاد ونظر.

مثال البدعة: صلاة الرغائب في شهر رجب، فهي عبادة زائدة عما شرعه ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ومثال المصلحة المرسلة: تأليف الكتب في فنون الشريعة، فقد كانت أحد أهم أسباب حفظ هذا الدين، ووصوله إلى هذه القرون المتأخرة.

٥) البدعة تزاحم السنن النبوية، فيضيع معها الدين، حتى قال أبو إدريس الخولاني: "ما أحدثت أمة في دينها بدعة، إلا رفع الله بها عنهم سنة". والمصلحة المرسلة يَحفظ الله بها دينه، ولا تعارض سنة من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

مثال البدعة: وضع أحاديث في فضائل سور القرآن بقصد ترغيب الناس في القرآن، والسنة التي عليها أهل الإسلام هي أن خير الهدْي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن من كذب على النبي متعمدًا فليلج النار.

ومثال المصلحة المرسلة: كتابة المصحف بالرسم العثماني، وتنقيطه... فقد كان ذلك سببًا في حفظ القرآن الكريم كما أنزله الله، من عهد الخلفاء الراشدين إلى يومنا هذا.

أسأل الله ان يوفقنا وإياكم للعلم النافع، والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

ويل للمطففين

(٢)

إعداد
د. ياسر لمعي عبد المنعم
أستاذ الدعوة والثقافة الإسلامية
المساعد جامعة غينيا العالمية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد: فقد تحدثنا في العدد الماضي عن التطفيف وبيَّنا أن المشهور عند الجميع أن التطفيف في الميزان بيعًا وشراءً فقط وذلك فهمًا من قوله تعالى: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ) (المطففين: ١ – ٣).

وتحدثنا عن سعة مفهوم التطفيف بما يشمل العبادات، فذكرنا بعض صور التطفيف في الصلاة والصيام والحج.

أما التطفيف في الزكاة فيشمل مَن طفف وأخر حق الله فقد أخبر جل وعلا عنه بقوله: "والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله". التوبة/.. فلا يخرجون حق الله فيها ويطففون لصالحهم إما بخلاً أو كسلاً أو تجاهلاً أنهم موعودون بالعذاب الأليم، قال جل وعلا: (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ㉞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) (التوبة: ٣٤ - ٣٥)، هذا جزاء من بخل بالزكاة، ولم يخرج حقها فقد طفف واستحق الوعيد ويل للمطففين، كل مال لا تُؤدى زكاته فهو كنز وصاحبه مطفف ويعذب عليه يوم القيامة.

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الذين لا يؤدون الزكاة يوم القيامة يعذبون، تحمى عليهم تلك الأموال من الذهب والفضة وما يقوم مقامها فيعذبون بها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين الناس، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، وصاحب الإبل والبقر والغنم يبطح لها بقاع قرقر تمر عليه تطؤه بخفافها وأظلافها، الإبل بخفافها، والبقر والغنم بأظلافها، تنطحه البقر والغنم بقرونها، وتعضه الإبل بأفواهها، كلما مرت عليه أخراها عادت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» (صحيح مسلم: ٩٨٨)؛ هذا جزاؤه نسأل الله العافية.

ثانيا من صور البخس والتطفيف

عدم اتباع النبي صلى الله عليه وسلم:

لذلك فقد أوجب الله تعالى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم على المسلمين، وذلك في أكثر من ثلاثين موضعًا من كتابه؛ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في الفتاوى: وقد أمر الله بطاعة رسوله في أكثر من ثلاثين موضعًا من القرآن، وقرن طاعته بطاعته، وقرن بين مخالفته ومخالفته؛ كما قرن بين اسمه واسمه، فلا يُذكر الله إلا ذكر معه.

ومن هذه المواضع، قوله تعالى: (مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (النساء: ٨٠)، وقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء: ٥٩).

يقول ابن القيم رحمه الله في إعلام الموقعين في هذه الآية: "أمر تعالى بطاعته وطاعة رسوله، وأعاد الفعل

إعلامًا بأن طاعة الرسول تجب استقلالاً من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقًا سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه، فإنه أوتي الكتاب ومثله معه. ولم يأمر بطاعة أولي الأمر استقلالا بل حذف الفعل وجعل طاعتهم في ضمن طاعة الرسول؛ إيذانًا بأنهم إنما يُطاعون تبعًا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بطاعة الرسول وجبت طاعته، ومن أمر منهم بخلاف ما جاء به الرسول فلا سمع له ولا طاعة؛ كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا طاعة في معصية الله؛ إنما الطاعة في المعروف".

وقال تعالى: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (آل عمران: ٣٢).

وقال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر: ٧)، وقال سبحانه: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الأعراف: ١٥٧).

وقال جل وعلا: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّه إِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر: ٧).

فالاتباع للرسول صلى الله عليه وسلم دليل حبه؛ كما أن ثمرته غفران الذنوب وفي اتباعه صلى الله عليه وسلم فلاح العبد ونجاحه؛ كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) (الأنفال: ٢٤). فأمر الله المؤمنين بأن يستجيبوا للرسول، فيما أمرهم ونهاهم، وذلك الحياة الطيبة؛ كما قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد: إذ الحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهرًا وباطنًا، فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن كل ما دعا إليه بقية الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول.

وقال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء: ٦٥).

فنفى الإيمان عمن لم يتحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وإلى سنته بعد موته.

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: "يُقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكّم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال تعالى: (ثمَّ لا يَجِدُوا في أنفُسهمْ حرَجَا ممَّا قضيْتَ ويُسلمُوا) أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون في الظاهر والباطن، فيسلمون لك تسليمًا كليًا من غير ممانعة، ولا مدافعة ولا منازعة".

وقال تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور: ٥١).

وقال تعالى: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (الأحزاب: ٣٦).

فهاتان الآيتان توجبان الانقياد الكامل، والتسليم المطلق لما حكم الله به، وحكم به رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما أدلة السُّنة على وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته فيما أمر واجتناب ما قد نهى عنه وزجر، فهي كثيرة - أيضا - فعن أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله! ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى" (صحيح البخاري ٧٢٨٠).

والمتأمل في آيات القرآن والأحاديث، الآمرة باتباعه؛ والمحذرة من معصيته ومخالفته والتطفيف في طاعته واتباعه، يتساءل ما حال أهل البدع والأهواء الذين زعموا حب النبي وخالفوا أمره ولم يتبعوا سُنته؟!

إنهم في خزي وحسرة وندامة يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا) (الفرقان: ٢٧)، وقال تعالى: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا) (الأحزاب: ٦٦).

وقد أجمع العلماء على وجوب طاعة النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه وعدم التطفيف في أمره ونهيه؛ وقد تمثل إجماع الأمة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، واتباعه فلا يقبل أدنى تطفيف في أمره ونهيه. والحذر الحذر (ويل للمطففين) ولنا لقاءات إن شاء الله في التطفيف في حقوق الغير.

هذا مقالي إليك أرجو أن تقرأ مبناه، وتستوعب معناه، ثم تستخلص بعد ذلك فحواه، كما أرجو أخيرًا، أن تتوج قراءتك لمقالي بالتواصل الهادف، والإضافة البنّاءة عند نشره وشرحه وبثه للجميع.

هذا وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

حقوق القرآن يا أمة الإسلام

إعداد **د. عبد الوارث عثمان**

أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن أعظم نعمة امتنَّ الله بها على أمة الإسلام: إنزال القرآن؛ ذلك الكتاب الذي لا غموض فيه ولا التباس، قال الله تعالى ممتنا: (لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) **(سورة الأنبياء: ١٠)، وقال تعالى لنبيه الكريم صلى الله عليه وسلم:** (وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ) **(سورة الزخرف:٤٤). فإنزال الكتاب على هذه الأمة هو أكبر النعم، والنعم بعده موازنة به مزيد فضل وإحسان من الله الغني الحميد.**

فعلى المسلم أن يؤمن بأنه كلام الله الحق أنزله على قلب رسوله الصادق الأمين معجزة بينة وبرهانًا قاطعًا يثبت أن محمدًا صلى الله عليه وسلم هو رسول إلى العالم كله على مدى الأزمان وأنه خاتم النبيين؛ لقوله تعالى: (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (الأعراف: ١٥٨)، وقوله تعالى: (وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ) (الأنعام:١٩)، وقوله: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا) (الأحزاب: ٤٠).

لذلك كان من لزوم الإيمان تعظيم القرآن غاية التعظيم إعظامًا لقائله عز وجل وإعظامًا لما أتى به من بيانات الحق وفنون الإعجاز وعرفانًا لفضله على البشرية، فلولا القرآن لما خرجت العرب من جاهليتها إلى نور العلم وإلى السيادة، وأنى لهذه الأمة التي أعزها الله بالإسلام والقرآن أن تجد عزة في سواه، وأن تتبوأ ذرى المجد بغيره، ولما خرجت الإنسانية من دياجير الظلام إلى نور الحضارة والعرفان، ومن براثن العبودية للأصنام البشرية والحجرية إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا معبود بحق سواه، وهو الذي من أجله قام سوق الجنة والنار، وجُرِّدت سيوف الجهاد، وسالت دماء الأطهار والكفار.

وقد تكررت الأوامر الإلهية به، مبينة أن الإيمان والتصديق به من أوجب الواجبات؛ قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا) (النساء: ١٧٠)، وقال الله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا) (النساء: ١٣٦)، قال القرطبي والبغوي والشوكاني والواحدي وغيرهم: "الكتاب الذي نزل على رسوله هو القرآن".

> أعظم نعمة امتنّ الله بها على أمة الإسلام: إنزال القرآن.

وقد قال الله تعالى في صفة عباده المؤمنين: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ) (القصص:٥٢)، وقال مادحًا لهم أيضًا: (وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ) (المائدة: ٨٣)، وقد ذمَّ الله المكذبين بهذا الكتاب العظيم فقال: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ) (الزمر:٣٢)، وأنكر الله تعالى على المكذبين تكذيبهم بالقرآن؛ إذ لا مسوغ له بظهور بركة هذا الكتاب العزيز فقال: (وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ) (الأنبياء: ٥٠).

وما كذب المكذبون بهذا الكتاب إلا جحودًا وعنادًا، وهم في أنفسهم يعلمون أنه الحق، وكم استخفى المشركون ليلاً ليستمعوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن في تهجُده، ولقد سجدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم قرأ سورة النجم؛ لما أخذ القرآن منهم كل مأخذ.

حقوق القرآن وواجباتنا نحوه:

ولهذا الحصن الحصين والدرع المتين، وكلام رب العالمين، حقوق يجب أداؤها وواجبات لا بد من القيام بها، وفيما يلي بيان بعضها:

الحق الأول: حفظه في الصدور:

امتدح الله تعالى حُفاظ كتابه ووصفهم بأنهم من أهل العلم؛ لأنهم يحملون القرآن في صدورهم، قال الله تعالى: (بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ) (العنكبوت:٤٩).

فمن لم يحفظ القرآن العظيم كاملاً، فليحفظ ما تيسر منه، ثم إن على من حفظ القرآن كله أو شيئًا منه أن يتعهده بالقراءة وتلاوته حق تلاوته ومن حق تلاوته قراءته حسب أصولها وإقامة حروفه، والخشوع لدى قراءته أو استماعه، وأن يستظهره في حافظته وسويداء قلبه حتى لا ينساه.

وقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن الإهمال المؤدي إلى نسيان القرآن، ونهى كذلك عن قول الرجل نسيته؛ لما فيه

من الإشعار بعدم الاعتناء بالقرآن؛ إذ لا يقع النسيان إلا بترك التعاهد وكثرة الغفلة، فلو تعاهد القرآن بتلاوته والقيام به في الصلاة لدام حفظه وتذكره، فإذا قال المسلم: نسيت الآية، فكأنما شهد على نفسه بالتفريط.

الحق الثاني: تدبُّر آياته:

ليست العبرة في التلاوة أن يقرأ القرآن مرات متعددة دون أن يصاحبها إدراك لما يقرأ، والترتيل والتدبر مع قلة مقدار القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القراءة الفهم والتدبر والعمل.

فالواجب على المسلمين أن يعتنوا العناية كلها بتذوق الجمال في بلاغته وإعجاز بيانه، ويعتبروا بأمثاله وقصصه ومواعظه، ويغوصوا بفكرهم على دُرَره، فإنه لا تَفْنَى عجائبه. والإسراع في القراءة يدل على عدم الوقوف على المعنى بصورة كاملة، وقد ندَّد الله تعالى بمن لا يفتح عقله وقلبه لتفهُّم القرآن لإدراك ما فيه من حِكم وأسرار وعِظات وتشريعات؛ فقال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: ٢٤).

فعلى المسلم أن يتفهم علوم القرآن، ويقف مع أحكامه، فيصوغ منها حياته، ويترجمها سلوكًا يعيشه، وخلقًا وإنسانية يسمو بهما على كل مُثُل العالم.

أما سماع القرآن أو تلاوته بغير تدبُّر فهو لا يُحقق المقصود من الاستماع أو التلاوة؛ فقد كان المشركون يستمعون القرآن ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا؛ تمامًا كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يستمعون إلى القرآن الكريم كل يوم من المذياع ثم ينصرفون لا يحرك فيهم ساكنًا؛ إذ يبقى المطفِّف مطففًا، ويبقى الكاذب كاذبًا، ويستمر المرابي بمراباته، ويواصل الفاسق فسوقه! فلقد أصبح سماع القرآن عندهم عادةً، مع أن تلاوته بتدبُّر وسماعه بخشوع وتفهُّم وتعقّل وتأمل عبادة لله رب العالمين.

> “العمل بالقرآن من أهم غايات إنزاله والغايات الأخر تتبع لهذا الحق.”

الحق الثالث: تعلُّمه وتعليمه:

وأي فضل أجلّ وأعظم من بذل الجهد في قراءة القرآن وإمتاع النظر بآياته، وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم ثواب التِلاوة وحث أصحابه الكِرام وأمَّته من بعده على تعلُّم القرآن وتعليمه بقوله: "خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه"(رواه البخاري).

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى الأمصار المختلفة معلمين للقرآن الكريم؛ فبعث مصعب بن عمير وابن مكتوم في بيعة العقبة الثانية إلى المدينة؛ ليعلما الأنصار القرآن والفقه في الدين، كما في صحيح البخاري.

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله عنه قاضيًا إلى اليمن يُعلِّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ويقضي بينهم. واستعمل صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم الخزرجي النجاري رضي الله عنه على نجران ليفقِّههم في الدين ويعلِّمهم القرآن، ويأخذ الصدقات منهم.

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرةً عشرة، وعلى كل عشرة عريفًا، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك.

وكان هذا التعليم من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام حسبة لله من دون مقابل مادي، ولعل مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم هي المدرسة الأولى التي نادت بمبدأ مجانية التعليم ومبدأ إلزامية التعليم والتعلم، ولم يبق الأمر شعارًا بل نزل إلى ساحة التطبيق والتنفيذ.

فتعلُّم القرآن يُعين على أداء حق التلاوة، ومما يعين على ذلك ما يلي:

١- تعلم اللغة العربية، وإذا كان المسلم من الأعاجم فإن عليه أن يعرف من اللغة العربية ما يؤهِّله للقيام بحق التلاوة.

٢- طلب علم التجويد، وهو العلم الذي موضوعه كيفية قراءة القرآن الكريم على الوجه الصحيح.

٣- قراءة القرآن على من اشتهر بإجادة التلاوة، ومخالطة الحفاظ وحضور مجالسهم.

٤- كثرة الاستماع إلى القارئين للقرآن الكريم ممن عُرفوا بجودة التلاوة وحسن الأداء وجمال الصوت.

٥- الابتعاد عن كل ما يشغل القلب من الغناء الداعي إلى اتباع الهوى، واللهو بالمعازف التي هي من أسباب الإقبال على الدنيا الفانية ونسيان الآخرة الباقية، وكذلك المديح المشتمل على عبارات الشرك والإطراء المنهي عنه، فكل ذلك يأخذ مكانه في القلب على حساب القرآن.

الحق الرابع: الدعوة إليه وتبليغه للناس:

إن الواجب الشرعي يوجب على المسلمين جميعًا في مشارق الأرض ومغاربها، العرب منهم والعجم، تبليغ القرآن لغيرهم، والدعوة إليه، وإبراز محاسنه، وأنه حُجّة الله على الخلق، قال تعالى: (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (النحل: ٤٤). وأمر الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هو أمرٌ لأمته، وعليهم إكمال تنفيذ هذا التبليغ، كلٌ بقدر استطاعته. ولا شك أن العلماء تقع عليهم أعظم مسؤولية، بحكم تخصصهم بعلوم الشريعة، وقدرتهم على شرح أحكام القرآن وبيان معانيه. فلا يكفي أن يكون المسلم صالحًا في نفسه، بل عليه بذل الجهد لإصلاح الآخرين وهدايتهم وتبليغ رسالة الإسلام الخالدة.

الحق الخامس: حقّ العمل به:

والعمل بالقرآن من أهم غايات إنزاله والحقوق الأخرى تبع لهذا الحق؛ إذ لا يمكن أن يعمل بالقرآن إلا مَن تلاه وتدبّره وعظّمه، وقد كان السلف الصالح يقرؤون القرآن قراءة من وطن نفسه على العمل به والقيام بأوامره والانتهاء عن نواهيه كما حدث عندما نزلت آية الحجاب بادر نساء الصحابة إلى الالتزام بها، ولما نزلت آية تحريم الخمر حيث قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (المائدة:٩٠)

وحق العمل بالقرآن يعني العمل بالأوامر واجتناب النواهي كذلك، فما عمل بالقرآن مَن لم يجتنب نواهيه.

الحق السادس: التحاكم إليه:

وهو درب من دروب العمل بالقرآن الكريم، وإنما خص هنا بالذكر لأهميته، ولما تواتر فيه من نصوص دالة على عظمته ومكانته، قال الله تعالى: (أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة: ٥٠). فالعجب كل العجب ممن قرأ هذا القرآن وعرف ما فيه من صدق الأخبار وعدل الأحكام، ثم يسعى لغير هذا المنهج المعصوم المحفوظ من التبديل والتحريف المنزل من اللطيف الخبير إلى غيره من المناهج التي وضعها القاصرون عن معرفة أسرار التشريع التي اختص بها الله جل وعلا.

فما أكثر ما يتناقض هؤلاء فيُحلون اليوم ما حرّموه بالأمس، والله هو خالق الإنسان، العالم بما يُصلحه وما يَضره، قال تعالى: (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ) (الملك:١٤).

ولما كان الله تعالى هو الخالق وحده فهو كذلك الحاكم وحده، ولذا يُعرَف علماء الأصول "الحكم" بأنه خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين طلبًا أو وضعًا؛ فحكم غير الله تعالى لا يُعدّ في الحقيقة حكمًا، قال الله تعالى: (أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ) (الأعراف:٥٤).

إن العرب والمسلمين عليهم مسؤولية خاصة تجاه القرآن المجيد؛ لأنه نزل بلغتهم، وكفى بذلك شرفًا وفخرًا لهم؛ فهم أعرف الناس بأسراره وفحواه، فوجب عليهم عرضه على العالمين، وشرح مزاياه وبيان حقائقه ومراد الله فيه.. فمتى يستفيق العرب والمسلمون من غفوتهم؟

والسطور آنفة الذكر هي بعض حقوق القرآن، ولا أزعم أن هذا غايتها؛ فإن حقوق القرآن أعظم وأجل وهذه بعضها، والقرآن لا يوفيه العبد حقًا؛ لأنه أعظم النعم، والعبد يعجز عن أن يقوم بواجبه تجاه نعَم هي أقل شأنًا من هذه النعمة العظيمة، ولكن ينبغي التسديد والمقاربة، والاستغفار عن التقصير، وطلب العفو من الله على التفريط، وهو المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

لا مُنجّي من الشدائد إلا الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: { قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ } [الأنعام: ٦٣-٦٤].

القول في فضائل شهر رجب

قال الحافظ ابن حجر: "لم يَرِد في فَضْل شهر رجب ولا في صيامه، ولا في صيام شيءٍ منه مُعيَّن، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديثٌ صحيحٌ يَصْلُح للحُجَّة". (تبيين العجب بما ورد في شهر رجب، ص٢٣).

من دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم

بركةُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم

عن جابر، أنَّ رَجُلًا أتى النبيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ، فأطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقِ شَعِيرٍ، فما زالَ الرَّجُلُ يأْكُلُ منه وامْرَأَتُهُ ووَصِيفُهُما، حتَّى كالَهُ (أي: عندما وزَنَهُ فَنِيَ وانْتَهى ونَفِدَ سَرِيعًا)، فأتى النبيَّ ﷺ فقالَ: لو لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُمْ منه، ولَقامَ لكُمْ. (صحيح مسلم: ٢٢٨١).

حكم ومواعظ

عن الحسن، قال: «أرْبَعٌ مِنْ أعْلامِ الشَّقاءِ: قَسْوَةُ القَلْبِ، وجُمُودُ العَيْنِ، وطُولُ الأمَلِ، والحِرْصُ علَى الدُّنْيا» الزهد لابن أبي الدنيا ١/٣٦.

من حكمة الشعر

والعلم أقسام ثلاثٌ ما لها .... من رابع والحق ذو تبيانِ
علم بأوصاف الإله وفعله .... وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه ..... وجزاءه يوم المعاد الثاني
(النونية لابن القيم)

إعداد: علاء خضر

من أقوال السلف

عن الزهري قال: «كانَ مَنْ مَضى مِنْ عُلَمائنا يَقُولُونَ: الاعْتصامُ بالسُّنَّةِ نَجاةٌ، والعِلْمُ يُقْبَضُ قَبْضًا سَرِيعًا، فَنَعْشُ العِلْمِ ثباتُ الدِّينِ والدُّنْيا، وفي ذَهابِ العِلمِ ذَهابُ ذلِكَ كلِّه» (سنن الدارمي ١/ ٢٣٠) و(نَعْشُ العِلْم): بقاؤه ورفعة شأنه.

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحذيره من اليمين الغموس

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن حلَفَ على يَمينِ صَبْرٍ، يَقْتَطِعُ بها مالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هو فيها فاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وهو عليه غَضْبانُ" (أخرجه البخاري ٦٦٧٦، ومسلم ١٣٨).

من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

الأذكار حصن شرعي للمسلم

عن أبي هريرة، قال جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ فقالَ: يا رَسولَ اللهِ، ما لَقِيتُ مِن عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البارِحَةَ، قالَ: أَما لو قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بكَلِماتِ اللهِ التَّامّاتِ مِن شَرِّ ما خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ. (صحيح مسلم ٢٧٠٩).

فروق لغوية

﴿وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ الفرق بين المختال والفخور.

المختال: ينظر إلى نفسه بعين الافتخار. والفخور: ينظر إلى الناس بعين الاحتقار.

من فضائل الصحابة:

من فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بَيْنا أنا نائمٌ، رأيتُ النّاسَ يُعْرَضُونَ وعليهم قُمُصٌ، مِنْها ما يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، ومِنْها ما يَبْلُغُ دُونَ ذلكَ، ومَرَّ عُمَرُ بنُ الخَطّابِ وعليه قَميصٌ يَجُرُّهُ". قالُوا: ماذا أوَّلْتَ ذلكَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: "الدِّينَ".

(صحيح مسلم ٢٣٩٠)، قُمُصٌ: جمع قميص، وهو نوع من الثياب.

أثر السياق في فهم النص

(١٣١)

حجاب المرأة المسلمة

(٤١)

إعداد د. متولي البراجيلي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وبعد:

فما يزال الحديث متصلاً عن أثر قرائن السياق على أدلة الحجاب، وقد قسمت أدلة الحجاب إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الأولى: أدلة القرآن. المجموعة الثانية: أدلة السنة. المجموعة الثالثة: الآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

وقد انتهيت بفضل الله تعالى من أدلة القرآن، ووصلت في أدلة السنة إلى الحديث الثامن عشر.

الحديث الثامن عشر:

عن أبي سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما -وأبو هريرة رضي الله عنه جالس عنده-، فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة؟ فقال ابن عباس: عدَّتها آخر الأجلين. فقلت أنا: بل تَحلّ حين تضع، قالَ الله تبارك وتعالى (وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ)[الطلاق:٤]؛ فقال: إنما ذلك في الطلاق. فقال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي – يعنى أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريبًا إلى أم سلمة رضي الله عنها يسأل عن ذلك، فجاءهم فأخبرهم أن أم سلمة قالت: إن سُبَيْعَة الأَسْلَمِيَّة رضي الله عنها.... وفي الحديث أنها وضعت حملها بعد وفاة زوجها بنصف شهر، فلما تعلَّت من نفاسها تجمَّلت للخُطّاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، فقال لها ما لي أراكِ مُتَجَمِّلَة؟، وقد اكتحلتْ واختضبت وتهيَّأت، لعلك ترجين النكاح، وكان أبو السنابل قد تقدم لخطبتها فرفضته.... (والحديث بتمامه وزياداته أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومسند أحمد، والطبراني، والبيهقي في الصغرى، والدارمي).

وقد استدل الشيخ الألباني من الحديث على جواز كشف الوجه والكفين، فقال: والحديث صريح الدلالة على أن الكفين ليسا من العورة في عُرْف نساء الصحابة، وكذا الوجه أو العينين على الأقل، وإلا لما جاز لسُبَيْعَة رضي الله عنها أن تظهر ذلك أمام أبي السنابل، لا سيما وقد خطبها فلم ترضه (جلباب المرأة المسلمة صـ٦٩).

القرائن حول الحديث:

١- تجمَّلت للخُطّاب، ليس فيه صراحة أنها كانت كاشفة عن وجهها، فقد يكون التجمُّل في الملابس

والهيئة؛ لأنها مأمورة بترك الزينة بعد وفاة زوجها حتى تعتد منه.

٢- فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك (ينكر عليها زينتها)، قد يقال: إنه كان متقدمًا لخطبتها، وبالتالي فإنه يجوز لها أن تتجمل، بل وتكشف عن وجهها إن كانت منتقبة. وهذا يرد عليه أنه ورد في الحديث أن أبا السنابل قد خطبها ورفضته- قبل واقعة الإنكار عليها-.

٣- وقد اكتحلت؛ قلت: الكحل لا يدل على كشف كامل الوجه، فقد تكشف عن عينيها فقط من تحت نقابها فيظهر الكحل.

٤- واختضبت: والخضاب (الحناء) في اليدين، هذا يدل على أنها كانت مكشوفة اليدين، فمن أعطى الوجه حكم اليدين من وجوب الاستتار، استدل بالحديث على جواز كشفهما؛ كالشيخ الألباني. لكن هذا يرد عليه أن المرأة المنتقبة قد تتساهل أحيانًا في كشف يديها لضرورة مناولة أو حمل شيء أو يكون أبو السنابل لما دخل عليها سارعت بتغطية وجهها ولم تتمكن من تغطية يديها.

٥- ولقائل أن يقول ربما تكون هذه الواقعة قبل نزول آيات الحجاب، والإجابة عن ذلك أن أبا السنابل بن بعكك الذي أنكر على سبيعة، أسلم يوم فتح مكة – أي بعد نزول آيات الحجاب. (انظر الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٦٥, الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/١٦٨٤).

الحديث التاسع عشر:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أومأت امرأةٌ من وراءِ سترٍ، بيدها كتابٌ إلى رسولِ اللَّه ﷺ؛ فقبضَ النَّبيَّ ﷺ يدَهُ؛ فقالَ: ما أدري أَيَدُ رجلٍ؛ أم يدُ امرأة؟!، قالتْ: بل يدُ امرأة، قالَ: لو كنتَ امرأةَ لغيَّرَتِ أظفارَكِ"؛ يعني: بالحنَّاءِ (سنَن أبي داود وغيره).

القرائن حول الحديث:

١- سند الحديث: فيه مطيع بن ميمون العنبري وهو ليّن الحديث (انظر ترجمته في الكامل ت ١٩٤٣, تقريب التهذيب ت ٦٧٢٠، وجهالة صفية بنت عصمة التي روى عنها مطيع بن ميمون انظر تقريب التهذيب ت ٨٦٢٤).

وحسّن الألباني الحديث بشواهده في سنن أبي داود ح ٤١٦٦ وسنن النسائي ح٥٠٨٩, وذكر له عدة شواهد (انظر الثمر المستطاب صـ٣١١-٣١٥).

وجاء في رواية الطبراني للحديث (ح٦٧٠٢) أن صفية هي أم مطيع بن ميمون.

٢- في الحديث أن المرأة كانت كاشفة عن يديها، ولو كانت يداها عورة لما سكت النبي صلى الله عليه وسلم على كشفهما، بل أمرها أن تخضب يديها ليكون ذلك فارقًا بين يديها وبين يدى الرجل.

٣- قد يقال: إن الواقعة كانت قبل الحجاب. لكن توجد رواية للحديث عند أبي داود: أن هند بنت عتبة رضي الله عنها زوج أبي سفيان رضي الله عنه قالت: يا نبي الله بايعني. قال: لا أبايعك حتى تغيري كفيك، لأنها كف سبع (سنن أبي داوود ح ٤١٦٥). وقد حسّن الألباني الحديث بشواهده في صحيح سنن أبي داود وسند هذه الرواية فيه مجاهيل: عمة غبطة بنت عمرو وهي أم الحسن وجدتها (انظر تقريب التهذيب ت ٨٧١٩، ٨٨٢٠).

وأخرج البزار (ح٢٩٩٣) عن مسلم بن عبدالرحمن: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء عام الفتح على الصفا، فجاءت امرأة كأن يدها يد رجل، فأبى أن يبايعها حتى غيّرت يدها بصفرة. والسند فيه عباد بن كثير الرملي، وهو ضعيف (انظر تقريب التهذيب ت ٣١٤٠)، وجهالة شميسة بنت نبهان (انظر: ثقات ابن حبان (ت١٢٥٩)، مجمع الزوائد ٥/١٥٤).

وأخرجه الطبراني في الكبير ح٧٧١, عن السوداء: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه، قال اذهبي فاختضبي... وفي إسناده جهالة نائلة، ح٣٠١٣ عن ابن عباس بنحوه، وفيه عبدالله بن عبدالملك الفهري وهو منكر الحديث، وليث بن أبي سليم وهو ضعيف. والحديث ضعّفه بروايات الأرناؤوط في مسند أحمد ح٢٦٢٥٨).

فمن حسّن الحديث كالألباني: استدل به على

جواز كشف الوجه والكفين، وإلا ما أقرّ النبي صلى الله عليه وسلم المرأة على كشف يديها (انظر جلباب المرأة المسلمة ص٧١-٧٢).

وقد استدل التويجري بالحديث على وجوب تغطية الوجه، فقال: وهذا الحديث يدل على أن نساء الصحابة رضي الله عنهم كن يستترن من الرجال الأجانب ويغطين وجوههن عنهم، ولم يكن الصحابة رضي الله عنهم رجالاً ونساء يفعلون شيئًا إلا بأمر من الشارع، فعُلم من هذا أن الاستتار وتغطية الوجوه كان مشروعًا للنساء، ولهذا أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على المرأة ترك الخضاب في يديها، وأقرها على الاستتار وتغطية الوجه (الصارم المشهور ص٨٨).

٤- لو أخذنا بتحسين الحديث بشواهده، فهند رضي الله عنها أسلمت بعد فتح مكة، وكان ذلك بعد نزول آيات الحجاب، فلا مجال للقول: إن القصة كانت قبل نزول آيات الحجاب.

٥- هل تُعذر هند بالجهل لحداثة إسلامها، ولم تكن تعرف أحكام الإسلام بعدُ؟ ويُجاب عن ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ليسكت على كشفها لكفيها لو كانا عورة، بل ويأمرها بتغييرهما بالحناء.

قلت: ١- الحديث من ناحية السند فيه ما ذكرت.

٢- من ناحية المتن، فهو ليس قطعي الدلالة؛ فإن كان لليد حكم الوجه، فيصير حجة لمن قال بجواز كشفهما، ومن قال بأن اليد قد يتجاوز عن كشفها أحيانًا للضرورة فلا حجة فيه.

لكن يرد سؤال: هل مناولة الكتاب من حالات الضرورة أم لا؟

الحديث العشرون:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيتُ النبيَّ ﷺ يَسْتُرني بردائه، وأنا أنظرُ إلى الحبشة يلعبُون في المسْجد، حتّى أكونَ أنا التي أسأمُ، فاقدُروا قدْر الجارية الحديثة السنّ، الحريصة على اللهْو. (متفق عليه).

القرائن حول الحديث:

١- يسترني بردائه، يدل ذلك على أن هذا كان بعد نزول آيات الحجاب، ويدل على جواز نظر المرأة إلى الرجل، وأجاب بعض من منع بأن عائشة كانت إذ ذاك صغيرة، وفيه نظر. (انظر: فتح الباري ١/٥٥٠). يقول العيني: إن في بعض طرق الحديث أن ذلك كان بعد قدوم وفد الحبشة، وأن قدومهم كانت سنة سبع، ولعائشة يومئذ ست عشرة سنة (انظر عمدة القاري: ٢٠/٢١٧).

٢- هل يستدل بالحديث وبستر النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها بردائه على وجوب النقاب. يرد على هذا أن العلماء اتفقوا على وجوب ستر جميع بدن أمهات المؤمنين، بما في ذلك الوجه والكفين؛ لقوله تعالى: (وإذا سألتُموهنّ متاعًا فاسألوهنّ من وراء حجاب)، ولا خلاف في ذلك، إنما الخلاف في دخول غير أمهات المؤمنين في الأمر، فدخولهن ليس بالأمر الصريح المباشر، وإنما هو بالاستدلال بجامع العلة المذكورة (ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) [الأحزاب:٥٣].

الحديث الحادي والعشرون:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينة، وهو عروسٌ بصفية بنت حُييّ، جئنَ نساءُ الأنصار فأخبرْنَ عنها، قالت: فتنكرتُ، وتنقّبتُ، فذهبتُ، فنظر رسولُ الله ﷺ إلى عيني فعرفني، قالت: فالتفتَ فأسرعتُ المشي، فأدركني فاحتضنني، فقال: كيف رأيت؟ قالت، قلتُ: أرسلْ يهوديةً وسْط يهوديات. (سنن ابن ماجه وغيره).

القرائن حول الحديث:

١- سند الحديث: عند ابن ماجه فيه ثلاث رواة ضعفاء علي بن زيد بن جدعان: ضعيف (انظر تهذيب الكمال ٢٠/٤٣٤، المغني في الضعفاء ٢/٤٤٧، تقريب التهذيب ت ٤٧٣٤)، وقد ضعّف البوصيري الحديث في مصباح الزجاجة بهذا الراوي (انظر مصباح الزجاجة ح٧١٠).

وفيه أم محمد من روى عنها زيد وهي مجهولة (انظر ميزان الاعتدال ١٠٩٣٨، تهذيب الكمال ٢٠/٤٣٦)، وفيه مبارك بن فضالة وهو يدلس ويسوي (انظر تقريب التهذيب ت ٦٤٦٤).

والحديث له روايات أخرى نستكملها بإذن الله تعالى في العدد القادم إن شاء الله وقدر.

والحمد لله رب العالمين.

الاستسلام للأقْدارِ الغالبة والاستعداد للعواقب الغائبة

(٢)

إعداد د. عماد محمد علي عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله على نعمته علينا وتفضيله، أحمده على ما منَّ به علينا من مُحكم الكتاب وتنزيله، وأشكره على ما أكرمنا به من بعثة صفوة خلْقه ورسُوله. وصلى الله على نبينا محمد الذي هدانا الله به إلى سواء سبيله، وأمرنا بتعظيمه وتبجيله، ونفى عنّا الإيمان حتى يحبه المؤمن أكثر من أبويْه وخليله، وجعل اتباعه سببًا لمَحبّته لنا وتفضيله، ونصبَ طاعته حمًى لنا تعصمنا من الشيطان وكيده وتضليله، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة دائمة بدوام طُلوع الفَجْر وأفوله، ومن تبعهم وعمل بعملهم إلى انقضاء حياته وفناء جيله، وانتهاء مُهْلة أيامه ورحيله.

وبعد: فهذا مقالٌ أذكّر به نفسي وإخواني، وأسوق لهم به العبرة والنذير، لعلنا نعمل به على الإصلاح والتغيير، لا سيَّما والناس في وجْه الوباء فَزعين كأنهم في حوْمَة الوَغى، إذْ لا بُدَّ أن نجتهد في الوصول إلى أسباب البلاء الذي نزل بنا، ودهانا وكدَّر حياتنا.

حال أكثر الناس يضُرّ ولا يسُرّ:

إنّ الناظر إلى الناس من حوله نظرة بادي الرأي يجدُ بُعدهم عن أبواب الْخَيْر، وقربهم من كلّ ما فيه خطرٌ وضير، بل ربَّما يجدُ بعضَهم يعمل على إغْلاقها حتى صار بعضُها موصدًا، وعلى النقيض ترى من يعمل بالسيّئات ويقعد لها بكل طريق ومَرصدًا، ومن رأى هُروب النّاس من الْمَساجد، وقلّة مبالاتهم

بالعبادات كالصلاة، وشحّ كثيرين عن الصدقة، وامتناعهم عن الإحسان والبِرّ، ونبذهم الصلة والمودة نبْذ النَواة، ورميهم إخوانهم بكل نقيصة، واجتهادهم في قطع الأرحام، وسعيهم الجاد في المظالم، واستهانتهم بحقوق الناس في الأموال والدماء والأعراض صدّق ما أقول وآمن بمَا أحْكيه.

وأنا أعتقدُ -وكثيرون غيري فيما أظن- عقيدة لا تداخلني فيها خلجة شك أن ما نحن فيه سببه أمران:

الأول: هو البُعْد عن طاعة الله التي ثقلتْ على النُفوس حتى صارت كأنَها مُرُّ الكؤوس وعلْقَم دارتْ منه الرُؤوس، أو الدّاء العياء الذي يأتي بأشدّ البلاء.

وقد وعد الله تعالى عباده الطائعين بفتح أبواب البركات والخيرات.

قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ) (المائدة: ٦٥-٦٦).

وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأعراف: ٩٦).

الثاني: كثرة غشيان الذنوب والمعاصي بصورة تقطع نياط القلوب، وهو فرع على السبب الأول لأنه من شغل عن الطاعة شغلته نفسه بالمعصية.

وهذا المعنى في الكتاب والسنة مُقرّر ومذكور، وفي علمهمَا مسطور ومزْبور.

قال تعالى: (كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) (آل عمران: ١١).

وقال تعالى: (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ) (الأنعام:٦).

> إن الوقاية من الذنوب تؤمّن صاحبها من عذاب البيات، ويسعد المَرء بها في الحياة وبعد المَمات.

وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأعراف:٩٦).

ومن سُنَّة الله في خَلْقه وعدله فيهم أنه لا يهلك الأمم وهي مصلحة (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) (هود: ١١٧)، بل لا يكون الهلاك إلا بالأُمَم في وقت ظلمها.

قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (هود: ١٠٢).

وقال تعالى: (وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا) (الكهف: ٥٩).

فإذا جاءت الطاعة وحضر شريف تلك البضاعة، وانتشر نور الهداية، وسعى الناس في طلبها جدّ السعاية، وظهرت أنوارها الهادية الماحية لظلمة الضلال، وكشفت عن أهلها الإفك والبلاء والمحال أعرضوا وصدوا وندُوا.

والعجيب في ذلك أن الناس إذا ذكرتَ لهم عقوبات المعاصي، وإذا ربطت بين البلاء وعواقب الذنوب وما فيها من السوءات والمآسي، تجد بعضهم لا يكادون يصدّقون ما قيل، ولا يعتقدون ما تناقلته الأجيال جيلًا بعد جيل، مع إيمانهم بمَا ورَدَ في الوحْي والتَنزيل،، في الوقت الذي يصدّقون فيه الإفك والأباطيل، ويتبعون كلّ مُفْسد كيدُه في تضليل.

إن الوقاية من الذُنوب تؤمّن صاحبها من عذاب البَيات، ويسعد المَرء بها في الحياة وبعد المَمات.

أثر الطاعة:

الطاعة عند المؤمن هي روحه وخلاصة حياته، وقلبُه النابض الذي إذا توقف خرجت روحه وفاضت نفسُه إلى بارئها، وهي رأس ماله الذي

يعمل فيه، وهي من الليل والنهار بمنزلة السمع والبصر من ابن آدم، وهي راحة المؤمن وجَنّتُه التي إذا لم يدخلها في الدنيا لم يدخل جنة الآخرة، كما أنّ الطاعة هي الحِصن الحَصين للمؤمن وجُنّته، وهي قبلتُه أيْنَما خيّم، وكعبَتُه أيْنَما توجّه ويَمّم، بل هي لذة الدنيا وقرة العين فيها، بها تفتح الأبواب المُغلقة، وتطمئن القلوب ولو كانت مُغلقة، وتشرح الصدور ولو كانت الدنيا تغلي حولها كالقدور، فإذا خلتْ منها شعرَ المُؤمن بأنّ الحَياة جوفاء، وأنّ الدُّنيا حوله دار نَكْراء، مشوَهة الخِلقة مستنكَرَة المَرآة.

وهذا كلام لا يشك فيه من شم رائحة الطاعة أو كان عند أدنى رغبة في العمل الصالح.

فمن اجتهد فيها كان أثرها باديًا عليه كالشمس المشرقة والنور المستفيض، ومن تذوقها غائصًا في أعماقها، قوى منها الأركان وأحكم من أجلها البنيان، فحظي بمحبتها والفوز بها، وتَمتّع بانتشاق رَوحها وشَمِّ نسيمها، ونعمتْ عينه بالاكتحال بأحوالها الشريفة، والرّكون إلى مَحالّها المَنيفة، وامتلأ قلبُه بالتعلّق بها والشّغف بلزومها، واكتسى من ثيابها أجمل حلة وأفضل كسوة.

وهذا غيضٌ من فيْض، لكن التّنبيه على القليل مرشدٌ إلى معرفة الكثير لِمَن كان له قلبٌ أو فهْم والله المستعان.

ومع عُرُوض المَوانع وترادُف الشّواغل والقواطع تذهب بعض هذه المعاني أو كثير منها، فيحتاج المسلم إلى من يساعده على تجديد إيمانه وتحريك يقظَته وإشعال مَوْقد همّته حتّى يسير إلى ربّه من غير ضعفٍ ولا فُتُور حتى يكون كالطّود الشّامخ لا كأنّه ريشةٌ في مَهَبّ الريح تُفَيّئه يَمِينًا وشمالًا.

> “الطاعة هي راحة المؤمن وجنّته التي إذا لم يدخلها في الدنيا لم يدخل جنة الآخرة.”

آثار غشيان المعاصي:

جُبلت النفوس على المعاصي، وفطرت على ما ينافي العصمة، ويضاد السلامة من الذنوب والمخالفات، هذه حقيقة جاءت بها الأحاديث النبوية، وجادت بها السنن المصطفوية.

عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» (رواه ابن ماجه: ٤٢٥١).

أما الوُلوغ في أسباب المعاصي والانزلاق في مزالق تزل عليها الأقْدام، فمثل ذلك لا بد من الحيطة خشية الوقوع في شِباكها، والسقوط في شَرَكها.

فهي موضع مَخافة يستوجب الحَذر اتّقاء الضّرر، ويقتضي حسن التحرّي لا الإقدام عليها والتجرّي.

ومن شؤم الذنوب أنها تجعل صورة ابن آدم مشوهة تشويهًا بالغ القبح والشناعة، ويكفي أن الذنوب تظهر على وجوه أصحابها، وتبدو على نعوت أهلها، وتستعلن بصفات وسمات الواقعين فيها والقائمين بها، بيْدَ أنه لا يعلم ذلك ولا يعرفه إلا من آتاهم الله قوة بصيرة وحُسن فراسة.

عَن ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ " (رواه أبو داود: ٣٤٦٢).

أما إدمانها وإلْفها فتلك بلية البلايا؛ لأن الفطام حينها يصعب إلا بتوفيق من الله تعالى وتيسير منه لكل عسير.

والله المسؤول أن يَمحو عنا قديم وحديثَ الأوزار، وأن يُقيل العثْرة منّا والعَثار، وأن يلحقنا بالصالحين من عباده الأخيار، وأن ينزلنا منازل الأبرار.

زواج التجربة والتلاعب بالميثاق الغليظ

(ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ) (سبأ: ١)، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين النبي الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن عقد الزواج ميثاق من أعظم المواثيق التي شرعها الله تعالى لعباده حتى سماه الله تعالى في كتابه: الميثاق الغليظ، قال الله تعالى: (وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) (النساء: ٢١)، ولم تأتِ هذه التسمية في كتاب الله عزوجل إلا في ثلاثة مواضع هذا الموضع، وموضعان آخران، وهما:

إعداد د. محمد عبد العزيز

قوله تعالى: (وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) (النساء: ١٥٤).

وقوله: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا) (الأحزاب: ٧).

وكلاهما عقد في طاعة الله عز وجل وعدم عصيان أوامره وترك اجتراح المعاصي، وهذا يبين عظم هذا العقد في الشريعة وخطورة التلاعب به أو الاستهانة بأحكامه من الزوجين، وفيه بيان خطورة الإقدام على التكلم في أحكامه بغير علم، فضلاً عن التلاعب بأحكام هذا الميثاق الغليظ.

وقبل الشروع في المقصود من هذا المقال أودَ تسليط الضوء على هذه التسمية: زواج التجربة.

فهذه التسمية في ذاتها تسمية خاطئة، والمتبادر منها: أن طرفي العقد يتزوجان زواجًا إلى أجل موقتًا بمدة فإن نجحت هذه التجربة أطلق العقد، وإلا انفسخ العقد لمضي مدة التأقيت.

وهذا باطل بإجماع أهل العلم، وهو يشبه في هذه الصورة صورة زواج المتعة المتفق على بطلانه عند أهل السنة، قال ابن عبد البر في الاستذكار (٥ /٥٠٨): «اتفق أئمة علماء الأمصار من أهل الرأي والآثار؛ منهم: مالك وأصحابه من أهل المدينة، وسفيان، وأبو حنيفة من أهل الكوفة، والشافعي، ومن سلك سبيله من أهل الحديث والفقه والنظر، والليث بن سعد من أهل مصر والمغرب، والأوزاعي في أهل الشام، وأحمد واسحاق، وأبو ثور، وأبو عبيد، وداود، والطبري على تحريم نكاح المتعة؛ لصحة نهي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندهم عنها».

وزواج المتعة المتفق على بطلانه يجمع أمرين لأجلهما كان باطلاً:

الأول: التأقيت بأجل محدد معلوم، وعقد الزواج الصحيح مطلق غير محدد المدة.

الثاني: أن العقد ينفسخ بمضي هذه المدة، فلا يفتقر الى طلاق.

قال ابن القطان الفاسي في كتابه الإقناع في مسائل الإجماع (٢ /١٦): «ولم يختلف العلماء من السلف والخلف أن المتعة:

ـ نكاح إلى أجل.

ـ لا ميراث فيه.

ـ والفُرقة تقع عند انقطاع الأجل من غير طلاق.

وأجمع فقهاء الأمصار: على القول بتحريمها، وليس هذا حكم الزوجة عند أحد من المسلمين، وقد حرَّم الله الفروج إلا بنكاح صحيح، وليس المتعة واحدة من هذين».

فكل زواج اشترط فيه التأقيت والأجل فهو من زواج المتعة الباطل بلا خلاف، وهذا ما تحمله هذه التسمية الباطلة: زواج التجربة.

> **كل زواج اشترط فيه التأقيت والأجل فهو من زواج المتعة الباطل بلا خلاف، وهذا ما تحمله هذه التسمية الباطلة: زواج التجربة.**

ولكن: هل هذه التسمية الباطلة تنطبق على بنود هذا العقد؟

وهل بنود هذا العقد بنود صحيحة أم فاسدة؟ ولماذا؟

وما دوافع هذا العقد وأسبابه؟

وأبدأ إجابة هذه الأسئلة بإجابة السؤال الثالث والأخير لتتضح الصورة:

أولاً: يقول صاحب فكرة إنشاء هذا العقد: إن الداعي لإنشائه هو الحد من ظاهرة الطلاق التي أصبحت شبه ظاهرة بين الشباب على الرغم من تكاليف الزواج الباهظة، ويؤيد هذا القول أن عدد حالات الزواج في مصر سنة: ٢٠١٩م: ٩٢٧٠٠٠ حالة زواج، وحالات الطلاق في نفس العام: ٢٢٥٠٠٠ حالة طلاق بنسبة مئوية تقديرية: ٢٤.٢٧٪ تقريبًا بمعدل حالة طلاق واحدة في كل دقيقتين وعشرين ثانية بحسب إحصاء الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء في مصر، وهذا هو الطلاق الموثق عند المأذون وليس الطلاق الشفوي الرجعي الذي يوقعه الزوج ثم يراجع في فترة العدة، وهو يرى أن معظم عقود الطلاق في الزيجات الحديثة.

وهذه الحالات في جمهورها لم تقع لاستحالة العشرة بين الزوجين وإنما تقع لعدم تفهُّم كل طرف من طرفي العقد للآخر، فأراد مقترح هذا العقد أن يُقدِّم حلاً للحد من هذه الظاهرة والتخفيف من آثارها.

ثانيًا: هل هذه التسمية الباطلة تنطبق على بنود هذا العقد؟

أقول: بعد الاطلاع على صور من هذا العقد على مواقع التواصل الاجتماعي هذه التسمية الباطلة: "زواج التجربة" لا تنطبق على هذا العقد، لماذا؟

لأنه في بند التمهيد في العقد ينص على أنه

قد تم الزواج بين طرفي العقد زواجًا شرعيًا مكتمل الأركان، وقد باشر العقد ولي الزوجة مع الزوج، في وجود شاهدي عدل في منزل العائلة، وأنه عقد موثق عند المأذون، وأنه زواج مؤبد.

وقد نص فيه على أن الفُرقة تقع بالطلاق إذا لم تتحقق الشروط من أحد طرفي العقد ...

ملاحظة: وصف عقد الزواج بالتأبيد خطأ، فإن الزواج في الإسلام لا يتأبّد فقد ينتهي بالطلاق، أو الخلع، وانما عقد الزواج في الإسلام لا يتأقت بأجل أو آجال، فهو عقد مطلق.

> “ حقيقة عقد زواج التجربة بصورته المنشورة أنه عبارة عن شروط في عقد الزواج. ”

ثالثًا: حقيقة هذا العقد:

حقيقة هذا العقد أنه عبارة عن شروط في عقد الزواج، وقبل الحديث عن حقيقة العقد لابد من تمهيد فأقول وبالله التوفيق:

الشروط في العقود باعتبار مصدرها تنقسم فقهًا إلى قسمين:

القسم الأول: ما كان مصدره الشرع، وتعرف بالشروط الشرعية، ويعبّر عنها الفقهاء بقولهم: شروط العقد، وهي ثلاثة أنواع على التفصيل:

١ . شروط وجوب: وهي من خطاب الوضع، كاشتراط بلوغ المال نصابًا لوجوب الزكاة.

٢ . شروط صحة: وهي من خطاب التكليف، كاشتراط الطهارة من الأحداث، والأخباث لصحة الصلاة.

٣ . شروط أداء: وهي قدرة المكلف على أداء العبادة، كاشتراط فهم الخطاب للدخول في التكليف.

القسم الثاني: ما كان مصدره المكلف، وتعرف بالشروط الجعلية، ويعبر عنها الفقهاء بقولهم: الشروط في العقد، وهذه الشروط في الجملة معتبرة في الشرع، لحديث أبي هريرة . رضي الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون على شروطهم» (أخرجه أبو داود: ٣٥٩٤).

وحديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: إن أحق الشروط أن توفوا به: ما استحللتم به الفروج (أخرجه البخاري ٢٧٢١، ومسلم ١٤١٨)

وتنقسم بحسب اعتبارها إلى قسمين:

١ . شروط صحيحة، وهي ما لا تُنافي مقتضى العقد، كاشتراط الزوجة عدم إخراجها من بيت أهلها، أو اشتراطها مهرًا معينًا.

٢ . شروط فاسدة، وهي ما تنافي مقتضى العقد، فهذه غير معتبرة لحديث عمرو بن عوف المزني . رضي الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحًا حرّم حلالاً وأحل حرامًا» (أخرجه الترمذي ١٣٥٢، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه ٢٣٥٣).

كاشتراط الزوج عدم النفقة على الزوجة، أو اشتراط الزوجة عدم مساس الزوج لها.

والشروط الفاسدة نوعان فمنها:

أ . ما هو فاسد في نفسه غير مُفسد للعقد، كاشتراط الزوج عدم النفقة على الزوجة، فهو شرط باطل؛ لأنه ينافي مقتضى العقد لكنه غير مُبطل له.

ب . ما هو فاسد في نفسه وهو مُفسد للعقد، كالزواج بشرط التحليل للزوج الأول على الصحيح، وهو شرط مبطل للعقد لأنه ينافي أصل العقد.

والفرق بين الشروط الشرعية والشروط الجعلية من خمس أوجه وهي:

١ . أن الشرط الشرعي: من وضع الشارع كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا نكاح إلا بولي» (أخرجه الترمذي ١٣٥٢، وقال: حسن صحيح،

وابن ماجه ٢٣٥٣).

والشرط الجعلي: من وضع أحد المتعاقدين كاشتراط المرأة عدم الخروج من بيت أبيها.

٢ - أن الشروط الشرعية كلها صحيحة.

والشروط الجعلية: منها الصحيح، ومنها الفاسد المفسد للعقد، والفاسد غير المفسد للعقد.

٣ - أن الشروط الشرعية: لا يمكن إسقاطها.

والشروط الجعلية يمكن إسقاطها؛ لأنها حق لعاقدها يمكنه التنازل عنها.

٤- أن الشروط الشرعية يتوقف عليها صحة العقد.

والشروط الجعلية: لا يتوقف عليها صحة العقد، لكن يتوقف عليها لزومه.

٥ - أن الشروط الشرعية سابقة للعقد.

والشروط الجعلية يجب أن تكون في صلب العقد. (ينظر: أصول الفقه، لوهبة الزحيلي ١ /١٠١، الحكم الشرعي، لكاتب هذه السطور: ص ٣٧٨).

وبعد هذا التمهيد، أقول: حقيقة هذا العقد أنه من باب الشروط في العقد - الشروط الجعلية - وهي جائزة في الجملة لما سبق، لكن يشترط لصحتها أن تكون في صلب عقد الزواج لا بعده.

رابعًا: هل بنود هذا العقد بنود صحيحة أم فاسدة؟ ولماذا؟

بنود هذا العقد منها ما هو خطأ محض، ومن ذلك:

١ - تسميته: بزواج التجربة؛ فهي تسمية باطلة.

٢ - قوله في البند الأول: "عدم اللجوء للطلاق قبل استكمال مدة العقد"، وقد حددها بثلاث سنوات.

فهو في ظاهره مُخالف للشرع؛ إذ فيه تحريم ما أباحه الشرع من إيقاع الطلاق قبلها، لكن تبيّن من البند: "جزاء مخالفة بنود هذا العقد"، أنه لا يريد المنع من إيقاع الطلاق لكن يريد بذلك إسقاط الحقوق المترتبة على الطلاق.

٣ - الشروط التي في هذا العقد لا يمكن الحكم عليها من عقد واحد بل كل شرط ينظر فيه بحسبه؛ فمن الشروط ما هو صحيح، بل هو من مقتضى عقد الزواج: كحُسْن العشرة، واشتراط النفقة، ومنها ما لا يخالف مقتضى عقد الزواج كاشتراط الزوجة عدم منعها من العمل، ومنها ما هو فاسد، لمخالفته مقتضى عقد الزواج كأن تشترط الزوجة ألا يمسها الزوج.

خامسًا: يرى كاتب هذه السطور أن هذا العقد لا يحل مشكلة الطلاق ولا يَحُدَ منها فإن القوانين وقائمة المنقولات والتي تعتبر في القانون وصل أمانة منفصل عن عقد الزوجية لم تَحُل هذه المشكلة على الرغم من تشدُّدها، وحلَ هذه المشكلات إنما يكون بحسن التنشئة والتبصرة بأحكام العشرة الزوجية في الشريعة، وكيفية حلّ المشكلات.

هذا ما يسَره الله تعالى في هذه الأسطر، والحمد لله أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا، وإلى لقاء قريب إن شاء الله تعالى.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى: الشيخ الدكتور: محمد حسانين، مدير لجنة الدعوة بفرع بلبيس، غفر الله له ورحمه رحمة واسعة. وتتقدم اللجنة العلمية وأسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ ومحبيه.

اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

كتاب عربي علّم العالم

كتاب المناظر

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله، وبعد.

فقد تفوق علماء الدولة الإسلامية في العصر الوسيط في تطوير العديد من علوم الحضارات السابقة ونظرياتها المختلفة، سواء كانت علومًا نقلية أو علومًا عقلية، ويعد ابن الهيثم أحد الرواد الباحثين في علم البصريات إن لم يكن هو رائدهم والمؤسس للنظريات الحديثة بهذا العلم، وقد ألف المئات من الكتب والمقالات من أهمها (كتاب المناظر) الذي يمكن اعتباره مرجعًا علميًا دراسيًا يزخر بالكم الهائل من التجارب والنظريات.

إعداد **محمد محمود فتحي**

التعريف بالكتاب

يعد كتاب "المناظر"،لابن الهيثم، موسوعة فيزيائية تصنف من أنفس ما أنتج العلماء في مجال البصريات، خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. وقدم مؤلف الكتاب، أبو علي الحسن بن الهثيم، الذي عده مؤرخ العلوم الشهير، جورج سارتون، أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى، دراسة لخصائص الضوء في أحواله الثلاث: الإشراق على الاستقامة، الانعكاس، الانعطاف. وهي دراسة قائمة على الاختبار التجريبي، واستخدام المنهج الرياضي في تفسير الظواهر الطبيعية.

وأبرز ما يميز الكتاب : أن ابن الهيثم جاء بنظرية جديدة في الإبصار غير ما جاء به السابقون عليه من الرياضيين، مثل : إقليدس وبطليموس أو الفلاسفة : أرسطو، أو الأطباء : جالينوس. وعرضها مجملة في المقالة الأولى من كتابه، ثم ألحق بها نظرية في سيكولوجية الإبصار، في المقالتين الثانية والثالثة.

الحسن بن الهيثم

يعد ابن الهيثم من أعظم علماء العرب في: البصريات والرياضيات والطبيعيات والطب، والفلسفة. ولديه إسهامات مهمة فيها. وهو أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم، المسمى عند الغربيين : الهازن: (Alhazen). ولد في البصرة سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م ودرس فيها. اشتغل بنسخ كتب من سبقوه في الرياضيات والطبيعيات، إلى جانب التأليف في مواضيع مختلفة.

ترك ابن الهيثم تراثا علميًا ضخمًا في الرياضيات والفلك، وسمع به الخليفة الفاطمي في مصر، الحاكم بأمر الله، فتاقت نفسه إلى الاستعانة به،

وزاد من رغبته ما نمي إليه ما يقوله ابن الهيثم: لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص، وكان ابن الهيثم في هذه الفترة قد تجاوز الستين من عمره.

اشتهر في العالم الإسلامي باعتباره عالما في الهندسة له فيها آراء واجتهادات. وتوفي ابن الهيثم، في القاهرة سنة ٤٣٠هـ / ١٠٤٠م.

تقسيم الكتاب

والكتاب في مجمله يحتوي سبع مقالات:

المقالة الأولى

تشمل هذه المقالة كيفية إشراق الأضواء، فيما يعرض بين البصر والضوء ، منافع آلات البصر.

المقالة الثانية

تتناول تمييز خطوط الشعاع ، تمييز إدراك البصر للمبصرات.

المقالة الثالثة

تتناول العلل التي من أجلها يعرض للبصر الغلط.

المقالة الرابعة

وتضم: صور المبصرات التي تنعكس عن الأجسام الثقيلة، أن ما يدركه البصر في الأجسام الثقيلة هو إدراك بالانعكاس.

المقالة الخامسة

تتناول الصور التي ترى في الأجسام الثقيلة.

المقالة السادسة

تتناول أغلاط البصر التي تعرض في المرايا المسطحة، في المرايا الكروية المحدبة.

المقالة السابعة

تتناول كيفية إدراك البصر بالانعكاس من وراء الأجسام المشفة المخالفة لشفيف الهواء.

نظرية الرؤية

أثبت ابن الهيثم، في "المناظر"، أن الضوء يسير في خطوط مستقيمة، باستخدام التجارب العلمية. ففي العصور القديمة، سادت نظريتان كبيرتان حول كيفية الرؤية، النظرية الأولى: نظرية الانبعاثات، التي أيدها مفكرون مثل إقليدس وبطليموس، والتي تفترض أن الإبصار يحدث اعتمادا على أشعة الضوء المنبعثة من العين.

أما النظرية الثانية: نظرية الولوج، التي كان قد أيدها أرسطو وأتباعه، فتفترض دخول الضوء إلى العين بصورة فيزيائية. كما عارض ابن الهيثم كون عملية الرؤية تحدث عن طريق الأشعة المنبعثة من العين، أو دخول الضوء الى العين من خلال صور فيزيائية، وعلل ذلك، بأن الشعاع لا يمكن أن ينطلق من العينين، ويصل إلى النجوم البعيدة في لحظة، بمجرد أن نفتح أعيننا.

كذلك، عارض الاعتقاد السائد بأن العين ربما تجرح إذا نظرنا إلى ضوء شديد السطوع، ووضع بدلا من ذلك، نظرية ناجحة للغاية، تفسر عملية الرؤية بأنها تحدث نتيجة خروج أشعة الضوء إلى العين من كل نقطة في الكائن، وهو ما أثبته عن طريق التجارب. وكذا وحد علم البصريات الهندسية مع فرضيات أرسطو الفيزيائية، لتشكل أساس علم البصريات الفيزيائية الحديثة.

ريادة وتجارب وبراهين

أثبت ابن الهيثم أيضا، أن أشعة الضوء تسير في خطوط مستقيمة، كما نفذ تجارب مختلفة حول العدسات والمرايا والانكسار والانعكاس. وكان أول من اختزل أشعة الضوء المنعكس والمنكسر في متجهين رأسي وأفقي، والذي كان بمثابة تطور أساسي في البصريات الهندسية، وكان ابن الهيثم أول من نجح في مشروع نقل صورة من الخارج إلى شاشة داخلية كما في الكاميرا المظلمة، التي اشتق الغرب اسمها من الكلمة العربية: قمرة.

نظرية وتطوير

أرسى كتاب "المناظر"، بالإضافة إلى فيزياء البصريات، أسس علم نفس البصريات. وأسهم ابن الهيثم كذا، في الطب وطب العيون والتشريح وعلم وظائف الأعضاء، كما عدل نظريات الرؤية المزدوجة وتوقع الحركة، التي سبق وناقشها من قبل أرسطو واقليدس وبطليموس.

وأحدثت مقارنته بين العين والكاميرا المظلمة، توليفته بين علمي: التشريح والبصريات، والتي شكلت أساس علم نفس البصريات.

النسخ المترجمة

ترجم الكتاب إلى اللاتينية، خمس مرات، كما ترجم إلى اللغات: العبرية والأسبانية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية، مرات كثيرة، ايضا . وفي عام ٩٧٩هـ / ١٥٧٢ م، نشر ريزنر ترجمة كاملة لكتاب (المناظر)، وزود الطبعة برسم يوضح فيه مختلف أجزاء العين، حسب ما ذكره ابن الهيثم .

والى كتاب آخر نبحر من خلاله ونرسوا على شطآنه.

والحمد لله رب العالمين.

حق الزوج على زوجته

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ وبعد:

فقد تحدثنا في العدد السابق عن آداب بين الزوجين يجب التأدب بها، وأسرار بينهما يجب حفظها. وفي هذا العدد نتحدث -بعون الله- عن حق الزوج على زوجته. فنقول وبالله التوفيق:

إعداد **د. جمال عبد الرحمن**

إن سعادة ابن آدم في ثلاث، وشقاوته في ثلاث، فثلاث سعادته: الزوجة الصالحة والمركب الصالح والمسكن الواسع، وثلاث شقاوته: المسكن السوء والمرأة السوء والمركب السوء. قال رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "سعادةٌ لابن آدمَ ثلاثٌ، وشقاوةٌ لابن آدمَ ثلاثٌ فمن سعادةَ ابن آدمَ: الزوجةُ الصالحةُ، والمركَبُ الصالحُ، والمسكَنُ الواسعُ، وشقوَةٌ لابن آدمَ ثلاثٌ: المسكنُ السوءُ، والمرأةُ السوءُ، والمركَبُ السوءُ" (صحيح الجامع: ٣٦٢٩). والزوجة الصالحة هي التي تعين زوجها على طاعة الله، والزوج الصالح كذلك، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى فيما رواه عنه صاحبه أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: "رَحِمَ اللَّه رَجُلاً قَامَ مِنَ اللَّيْل، فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَرَحِمَ اللَّه امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْل، فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَصَلَّى، فَإِنْ أَبَى، نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ"(أخرجه أبو داود (١٣٠٨)، والنسائي (١٦١٠) واللفظ له، وهو في صحيح النسائي: ١٦٠٩). والنضح: رش الماء برفق.

قال المناوي رحمه الله: "(رحم الله) هو ماضي بمعنى الطلب (رجلاً قام من الليل) أي بعد النوم، إذ لا يسمى تهجدًا إلا صلاة بعد نوم، (فصلى): أي ولو ركعة، لخبر "عليكم بصلاة الليل ولو ركعة". (وأيقظ امرأته): في رواية: (أهله): وهي أعم، (فصلت فإن أبت) أن تستيقظ (نضح): أي رش (في وجهها الماء): ونبّه به على ما في معناه من نحو ماء ورد أو زهر، وخص الوجه بالنضح لشرفه ولأنه محل الحواس التي بها يحصل الإدراك، وفيه ندب أمر الزوجة بالصلاة وإيقاظها لذلك وعكسه. (رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإذا أبى نضحت في وجهه الماء): أفاد كما قال الطيبي: أن من أصاب خيرًا ينبغي أن يحب لغيره ما يحب لنفسه فيأخذ بالأقرب فالأقرب. فقوله: "رحم الله رجلاً" فعل كذا: تنبيه للأمة بمنزلة رش الماء على الوجه لاستيقاظ النائم وذلك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لما نال ما نال بالتهجد من الكرامة أراد أن يحصل لأمته حظ من ذلك فحثهم عليه عادلاً عن صيغة الأمر للتلطف" (فيض القدير: ٤/٢٥).

وفي الحديث السابق يظهر أن الزوجين شريكان في أعمال العادة وأعمال العبادة، فالزوج لباس لزوجته، وزوجته لباس لزوجها، ولكليهما حقوق وعليهما واجبات.

أولا: حق الزوج:عن معاذ رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: "لوْ تعْلمُ المرْأةُ حقَّ الزّوْج لمْ تقْعُدْ ما حضر غداؤهُ وعشاؤهُ حتّى يفْرُغ منْهُ". (أخرجه الطبراني، وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٢٥٩ في صحيح الجامع).

وقوله: (لو تعلم المرأة حق زوجها): لفظ رواية الطبراني "ما حق الزوج" (لم تقعد): أي تقف (ما حضر غداؤه وعشاؤه) أي مدة دوام حضوره (حتى يفرغ منه): لما له عليها من الحقوق، وإذا كان هذا في حق نعمة الزوج وهي في الحقيقة من الله تعالى فكيف بمن ترك شكر نعمة الله. (فيض القدير: ٥/٣١٥).

وفي حديث أنس رضي الله عنه مزيد بيان من النبي عليه الصلاة والسلام لمقام الزوج ومكانه عند زوجته. حيث قال أنس:....فلمّا نظر الجمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه، حتى خرّ ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذلّ ما كانت قط، حتى أدخله في العمل. فقال له أصحابه: يا نبيّ الله، هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل، فنحن أحقّ أن نسجد لك، فقال: "لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها". (مسند أحمد ح١٢٦١٤. وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٧٢٥).

ولما قدم معاذ من الشام سجد للنبيّ صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما هذا يا معاذ"؟ قال: أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلا تفعلوا فلو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها؛ ولو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه". (رواه ابن ماجه ١٥١٥، وصححه الألباني، وانظر عون المعبود ٦/١٢٥).

قال الطيبيّ رحمه الله: قوله: (لو كنت آمر) بصيغة المتكلم وفي بعض النسخ آمرا بصيغة الفاعل: أي لو صح لي أن آمر أو لو فرض أني كنت آمر (لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق)... وفيه إيماء إلى قوله تعالى: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (عون المعبود: ٦/١٢٦).

وهذا الحديث يشير إلى خطورة معصية المرأة زوجها وامتناعها عنه، مع قدرتها على ذلك.

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: "للطبراني من حديث ابن عمر رفعه: "اثنان لا تجاوز صلاتهما رءوسهما: عبد أبق، وامرأة غضب زوجها حتى ترجع". وصححه الحاكم. قال المهلب: هذا الحديث يوجب أن منع الحقوق في الأبدان كانت أو في الأموال مما يوجب سخط الله إلا أن يتغمدها بعفوه جل وعلا". (فتح الباري لابن حجر ٩/٢٩٤).

وكذلك فإن هجر المرأة فراش زوجها بدون عذر وبدون إذن يعرضها للعنة الله سبحانه، واللعنة طرد من رحمة الخالق جل وعلا.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».(أخرجه البخاري ٥١٩٤، ومسلم ١٤٣٦). وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيما امرأة وضعت ثيابها في غير بيت زوجها فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل» (أخرجه أبو داود ٤٠١٠، والترمذي ٢٨٠٣، وصححه الألباني). وذلك أنها رضي الله عنها دخل عليها نسوة من حمص فقالت: لعلكن من اللواتي يدخلن الحمامات: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: فذكرته.ومعنى (وضعت ثيابها في غير بيت زوجها) كناية عن تكشفها للأجانب وعدم تسترها منهم (فقد هتكت ستر ما بينها وبين الله عز وجل): لأنه تعالى أنزل لباساً ليوارين به سوءاتهن وهو لباس التقوى، وإذا لم تتق الله وكشفن سوءاتهن هتكن الستر بينهن وبين الله تعالى. وكما هتكت نفسها ولم تصن وجهها وخانت زوجها يهتك الله سترها والجزاء من جنس العمل، والهتك خرق الستر عما وراءه، والهتيكة الفضيحة. ولتحذر المرأة أن تنفلت إلى المعصية في غياب زوجها ووليها، فإن ذلك يوجب سخط الله تعالى.عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا تسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصيًا، وأمة أو عبد أبق من سيده فمات، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده: فلا تسأل عنهم» (أخرجه أحمد (٢٣٩٨٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٥٨).

والمعنى: (ثلاثة لا تسأل عنهم) أي فإنهم من الهالكين (رجل فارق) بقلبه ولسانه واعتقاده أو ببدنه ولسانه، وخص الرجل بالذكر لشرفه وأصالته وغلبة دوران الأحكام عليه، فالأنثى مثله من حيث الحكم. (الجماعة) المعهودين وهم جماعة المسلمين (وعصى إمامه) إما بنحو بدعة كالخوارج المتعرضين للمسلمين والممتنعين من إقامة الحق عليهم المقاتلين عليه، وإما بنحو بغي أو حرابة أو صيال أو عدم إظهار الجماعة في الفرائض فكل هؤلاء لا تسأل عنهم لحل دمائهم. (ومات عاصيا) فميتته ميتة جاهلية، (وأمة أو عبد أبق من سيده) أو سيدته أي تغيب عنه في محل وإن كان قريباً (فمات) فإنه يموت عاصيًا (وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده فلا تسأل عنهم)، فائدة ذكر(فلا تسأل عنهم) ثانياً تأكيداً للعلم ومزيد بيان الحكم.ومن حق الزوج على زوجته أن تكرمه وهو حاضر عندها، فلا تصوم صوم نافلة إلا بإذنه، ولا تسافر سفرًا طويلاً إلا بإذنه، وتكون بصحبته أو صحبة محرم منها. عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم، ولا صوم في يومين: الفطر والأضحى» (صحيح البخاري ١٩٩٥)، وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تصومن امرأة إلا بإذن زوجها»(صحيح الجامع ٧٣٥٩). وذلك في صيام التطوع، أما صيام القضاء فلا مفر منه ويساعدها زوجها على ذلك، لكن قد يطلب منها تأجيل يوم لحاجته فتوافقه مادام في الأمر سعة.ومعنى (لا تصومن امرأة) وزوجها حاضر: صوم تطوع (إلا أن يأذن زوجها)، فيكره لها ذلك تنزيهاً عند بعض الأئمة وتحريماً عند بعضهم: لأن له حق التمتع بها في كل وقت والصوم يمنعه، وحقه فوري فلا يفوت بتطوع ولا بواجب على التراخي، قال النووي: "ويؤكد التحريم ثبوت الخبر بلفظ النهي، هذا كله في ابتداء الصوم فلو نكحها صائمة فلا حق له في تفطيرها كما جزم به المروزي من عظماء الشافعية، وأعظم بها فائدة قل من تعرض لها، أما وهو غائب عن البلد فلا يُكره صومها بل يسن".قال أبو زرعة: وفي معنى غيبته كونه لا يمكنه التمتع بها (وهو شاهد) لنحو مرض، وأما الفرض فلا يحتاج لإذنه، نعم إن كان موسعاً فهو كالنفل وأما لو أذن فلا حرج. وعن أبي هريرة مرفوعًا: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، أو تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة من غير أمره، فإنه يؤدي إليها شطره» (صحيح الجامع ٧٦٤٧).

وللحديث صلة بإذن الله، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٤٨)

قصة القبطي مع ابن والي مصر عمرو بن العاص رضي الله عنه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص والكتاب وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق.

إعداد علي حشيش

أولا: أسباب ذكر هذه القصة

١) اشتهرت هذه القصة حتى كانت منذ أكثر من أربعين عامًا ضمن مقررات وزارة التربية والتعليم -حفظها الله من الواهيات والمنكرات- على طلاب الثانوية العامة. حيث أورد هذه القصة الواهية الكاتب عباس محمود العقاد في كتابه «عبقرية عمر» ص(١٤٦، ١٤٧). المقرر على الطلبة طبعة الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية سنة (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م) فاشتهرت القصة بين آلاف الطلاب.

وإن تعجب فعجبٌ أن الكاتب العقاد اتخذ من هذه القصة الواهية أحكامًا جعلها دستورًا في شؤون الولاية. وفُتن الكثير بكتابته حتى خُيّل لهم من شهرته أنها حقائق، وأنَّى له ذلك! وقد افتقر منهجه إلى البحوث العلمية الحديثية: فالأحاديث والآثار التي أوردها خلت من أصول علم الحديث من التخريج والتحقيق، وهذه القصة التي سنكشف عارها، ونبين عوارها، ونظهر عللها شاهدة بذلك.

٢) وفي هذا العام جعلت إحدى المؤسسات التعليمية هذه القصة من مقررات الصف الثالث الإعدادي؛ حيث تدرس على طلاب هذه المرحلة في كتاب «الثقافة الإسلامية» ص(٣٠) في هذا العام الدراسي (٢٠٢٠-٢٠٢١م).

٣) ومن أهم الأسباب أن اللجنة التي أعدَّت هذا الكتاب ذكرت في هامشه ص(٣٠): أنها نقلت هذه القصة من كتاب «حُسْن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» للسيوطي (٥٨٧/١). وهذا الصنيع لا يُسمن ولا يُغني من جوع؛ لأن هذا الكتاب عند أهل الصنعة الحديثية يعزو ولا يُعْزَى إليه؛ فهذا ليس تخريجًا للخبر الذي جاءت به القصة: لأن التخريج: «هو الدلالة على موضع الحديث في مصادره الأصلية التي أخرجته بسنده»: حيث إنه بغير هذا التخريج لا يمكن التحقيق. وهذا ما يتطلبه البحث العلمي الدقيق لطلبة في هذه المرحلة من التعليم حتى يقفوا على حقيقة هذه القصة.

٤) ومن الأسباب التي من أجلها قمنا بتخريج وتحقيق هذه القصة أنها ذُكرتْ في تفاسير مشهورة، وعلى سبيل المثال لا الحصر: «تفسير المنار» لمصنفه محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤هـ؛ حيث ذكرها عند تفسير الآية (٣٣) من سورة المائدة (٢٩٤/٦) ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ولم يذكر للقصة تخريجًا ولا تحقيقًا، وبهذا تصبح القصة خاوية من البحوث العلمية الحديثية والتي بها تُعرف حقيقة هذه القصة.

وأنه بنى عليها أصولاً فقال في تقديمه للقصة: «هذا من عدل الإسلام الذي ساوى خليفته عمر بن الخطاب بين ابن فاتح مصر وقائد جيشها وحاكمها العام (عمرو بن العاص) وبين غلام قبطي... ثم ذكر القصة، ثم ختمها فقال: ولكن المسلمين لما تركوا حكم الإسلام صاروا يطلبون من الإنكليز، وممن دون الإنكليز أن يعلموهم العدل وقوانينه». اهـ.

فائدة:

«أثبت العرش ثم انقش: فعدل الإسلام ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة المطهرة، وليس في حاجة إلى مثل هذه القصة الواهية المنكرة».

٥) ومن التفاسير المشهورة التي ذكرت هذه القصة: التفسير المسمى «في ظلال القرآن» لمؤلفه سيد قطب وهو تفسير خاوٍ من أصول علم الحديث؛ فقد ذكر هذه القصة عند تفسيره «سورة العصر» من غير تخريج ولا تحقيق.

٦) ومن الأسباب التي من أجلها قمنا بتخريج وتحقيق هذه القصة انتشارها في الكتب التي صنفت في حياة الصحابة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد أورد هذه القصة محمد بن يوسف الكاندهلوي المتوفى سنة (١٣٨٤هـ) في كتابه «حياة الصحابة» (٣٣٧/٢) ط: مؤسسة الرسالة بيروت- لبنان، وبيّن أنه نقل القصة حيث ختمها فقال: «كذا في منتخب كنز العمال» (٤٢٠/٤) وهذا الصنيع أيضًا لا يسمن ولا يغني من جوع؛ لأن هذا الكتاب عند أهل الصنعة يعزو ولا يُعْزى إليه؛ فهذا ليس تخريجًا للخبر كما بينا آنفًا.

٧) وبالرجوع إلى: «كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال» لعلاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي المتوفى سنة (٩٧٥هـ) وجدنا القصة تقع في «كنز العمال» (٦٦٠/١٢) رقم (٣٦٠١٠) ط: مؤسسة الرسالة بيروت، ولم يذكرها عن طريق تلقيها عن أحد شيوخه بالإسناد إلى الصحابي أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أو والي مصر الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه حتى نقول: أخرجه المتقي الهندي في «كنز العمال» فهو يعزو ولا يُعْزى؛ ولذلك عندما انتهى من ذكر القصة قال: «ابن عبد الحكم» أي عزاها لابن عبد الحكم.

٨) واشتهر هذه القصة حتى أوردها ابن المبرد الحنبلي المتوفى سنة (٩٠٩هـ) في كتابه: «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٤٧٢/٢) ط: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- بالمدينة النبوية، ولم يذكر لها تخريجًا ولا تحقيقًا.

٩) وأورد هذه القصة أبو زهرة في كتابه «شريعة القرآن من دلائل إعجازه» ص(٥٧) ط: دار العروبة. القاهرة. ولم يذكر للقصة تخريجًا ولا تحقيقًا ليقف على حقيقة تعليقه في نهاية القصة والذي جعله حكمة وشعارًا فقال: (ثم أرسلها عمر حكمة خالدة في الإنسانية قائلاً لعمرو بن العاص: «منذ كم يا عمرو تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا» فكانت شعار الأحرار في كل الأعصار والأمصار). اهـ.

١٠) وذكر ما نسب إلى عمر بن الخطاب في هذه القصة الدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي في كتابه «اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر» (٧٨١/٢) طبع بإذن من رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم (٥/٩٥١) ولم يذكر للقصة تخريجًا ولا تحقيقًا حتى يقف على حقيقة ما نسب إلى عمر رضي الله عنه.

من أجل هذه الأسباب كان لا بد من التخريج والتحقيق حتى نقف على حقيقة هذه القصة.

ثانيا: (المتن)

رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، عائذٌ بك من الظلم. قال: عُذْتَ معاذًا. قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب. فجعله يضربه بالسوط، ويقول عمر: اضرب ابن الأليمين. قال أنس: فضرب، فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أن يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني".

ثالثا: التخريج

١) هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري المتوفى سنة (٢٥٧هـ) والمعروف بابن عبد الحكم في كتابه «فتوح مصر وأخبارها» (ص ٢٩٠) قال: «حدثنا عن أبي عبدة، عن ثابت البناني وحميد عن أنس: أتى رجل من أهل مصر: إلى عمر بن الخطاب...» القصة.

قلت: وابن عبد الحكم معروف بتصنيفه «تاريخ مصر»: قال الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١٨٩/٦): قال القضاعي: من أهل الحديث عالمًا بالتواريخ صنَف تاريخ مصر وغيره، والكثير ممن كتب في تاريخ مصر وأخبارها نقل عن ابن عبد الحكم، وهو من طبقة البخاري الطبقة الحادية عشرة: فالبخاري توفي ليلة

السبت ليلة الفطر سنة (٢٥٦هـ) وابن عبد الحكم بعده بثلاثة أشهر.

٢) لذلك نقل المتقي الهندي المتوفى (٩٧٥هـ) خبر القصة في كتابه «كنز العمال» عن ابن عبد الحكم عزوًا لا إسنادًا، ونقلها الكاندهلوي في كتابه «حياة الصحابة» عن المتقي الهندي عزوها لابن عبد الحكم كما بينا آنفًا.

٣) كذلك السيوطي المتوفى سنة (٩١١هـ) نقل خبر القصة في كتابه «حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة» (٥٨٧/١) عن ابن عبد الحكم عزوًا لا إسنادًا، ولذلك لا يصح أن نقول أخرجها السيوطي في «حسن المحاضرة».

رابعا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به القصة وأخرجه ابن عبد الحكم فيه علتان:

الأولى: السقط في الإسناد.

الثانية: الطعن في الراوي.

أما عن العلة الأولى: وهي السقط في الإسناد تجعل القصة واهية وسندها منقطعًا مظلمًا يظهر هذا الانقطاع من الصناعة الحديثية في السند: حيث قال ابن عبد الحكم: «حدثنا عن أبي عبدة» قول ابن عبد الحكم: «حدثنا عن أبي عبدة» فلفظ الأداء في رواية ابن عبد الحكم للقصة مبني للمجهول، وبهذا لم يعرف من الشيخ الذي أخذ عنه وتلقى عنه ابن عبد الحكم هذه القصة. وباستقراء السابق واللاحق لهذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة نجد السابق رواه ابن عبد الحكم عن شيخه أسد بن موسى بأعلى طرق التحمل عند الجماهير فقال: «حدثنا أسد بن موسى» واللاحق قال فيه: «حدثني عبد الله بن صالح» وهما من بين اثنين وأربعين شيخًا روى عنهم ابن عبد الحكم كذا في «تهذيب الكمال» (٣٨٥٠/٢٥٤/١١) للإمام المزي، وبهذا يصبح السند منقطعًا مظلمًا.

العلة الثانية: وهو أبو عبدة:

١) حيث قال ابن عبد الحكم: «حدثنا عن أبي عبدة، عن ثابت البناني وحميد عن أنس».

٢) قلت: وأبو عبدة: هو يوسف بن عبدة: فقد أورده الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٤٤٣٧/٤٩٢/٢٠) فقال: «يوسف بن عبدة بن ثابت الأزدي أبو عبدة البصري روى عن ثابت البناني، وحماد بن سلمة وهو من أقرانه وصهره حميد الطويل والحسن البصري، ومحمد بن سيرين». اهـ.

٣) وفي هذا الإسناد المنقطع نجد أن أبا عبدة رواه عن «ثابت البناني وحميد الطويل». وهنا علة أخرى فوق هذا الانقطاع بيَّنها الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي المتوفى سنة (٧٩٥هـ) في «شرح علل الترمذي» (٥٠١/٢) حيث نقل أن الإمام أحمد قال: «يوسف بن عبدة يروى عن حميد وثابت أحاديث مناكير بالتوهم ليس هي عندي من حديث حميد ولا ثابت». اهـ. وهذا ينطبق تمام الانطباق على سند القصة.

٤) وقال الإمام الحافظ العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢٠٨٧/٤٥٦/٤) «يوسف بن عبدة أبو عبدة له أحاديث مناكير عن حميد وثابت». اهـ. وهذا أيضا ينطبق تمام الانطباق على سند القصة، وبرهن الإمام العقيلي على أن الأحاديث التي تأتي من طريق يوسف بن عبدة أبي عبدة بهذا الإسناد منكرة بل باطلة؛ فأخرج العقيلي من طريق يوسف بن عبدة عن ثابت عن أنس:أنه أوصى إذا مات أن يوضع في فمه شعر من شعر النبي صلى الله عليه وسلم". قال أبو سلمة: فحدثت به حماد بن سلمة فأنكره، وحرك رأسه وقال: إذا حدثك هؤلاء الشيوخ عن ثابت فاتهمهم.

٥) فائدة: انظر إلى حكم حماد بن سلمة الذي لا يعرف قيمته إلا أهل الصناعة الحديثية أهل الخبرة بالعلل فقد قال الحافظ ابن رجب في «شرح علل الترمذي» (٤٩٩/٢) «الطبقة الأولى وهم الثقات من أصحاب ثابت البناني... فذكرهم ثم قال: وأثبت هؤلاء كلهم في ثابت حماد بن سلمة». ثم نقل أن الإمام أحمد قال: «ما أحد روى عن ثابت أثبت من حماد بن سلمة». اهـ.

ونقل أن الإمام يحيى بن معين قال: «حماد بن سلمة أعلم الناس بثابت». اهـ. فقد حكم حماد بن سلمة أن هؤلاء الشيوخ مثل يوسف بن عبدة أبي عبدة إذا حدثوك عن ثابت فاتهمهم، وهو أعلم الناس بثابت.

٦) قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٢٦/٤/٢): أخبرنا علي بن أبي طاهر، حدثنا أبو بكر الأثرم قال: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: يوسف بن عبدة أبو عبدة؟ قال: «له أحاديث مناكير عن حميد وثابت وكأنه ضعفه». اهـ.

٧) الاستنتاج: «قصة القبطي مع ابن عمرو بن العاص» واهية والخبر الذي جاءت به منقطع منكر ورواية يوسف بن عبدة أبو عبدة عن ثابت متهم، وهذا حكم أعلم الناس بثابت وهو حماد بن سلمة وحكم الإمام أحمد بأنه خبر منكر لذلك نجد عدد أحاديث «مسند أحمد» (٢٧٦٨٨) لم يذكر أبو عبدة في سند واحد فكيف بروايته عن ثابت البناني.

فالقصة باطلة واهية سندًا أو متنًا بما فيهما من منكرات. وان شاء الله سأفرد لهذا الخبر جزءًا على حدة لاشتهاره.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

الحلقة (١٠٢)

القسم الثاني

على حشيش

(٩٠٢) «إذا أراد الله بعبد خيرًا، صيَّر حوائج الناس إليه».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٧) مكتبة الحرم النبوي «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: «فر عن أنس».

قلت: «فر»: ترمز إلى «مسند الفردوس للديلمي».

وهذا تخريج بغير تحقيق فيتوهم من لا دراية له أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين موضوع: فالحديث أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» ح(٢٩٣ - الغرائب الملتقطة): عن أبي بكر محمد بن عمر الأصبهاني: حدثنا يحيى بن شبيب، حدثنا حميد الطويل، عن أنس مرفوعًا، وعلة هذا الحديث: يحيى بن شبيب، قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (١٢٨/٣) «لا يجوز الاحتجاج به بحال، يروي عن الثوري ما لم يُحدِّث به قط». اهـ.

وقال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧٤٩٤/٢٠٦/١٤) «روى أحاديث باطلة». اهـ.

ونقل الإمام الذهبي قول الإمام ابن حبان وكذلك قول الإمام الخطيب في «الميزان» (٩٥٤٣/٣٨٥/٤)، وأقرهما، وذكره الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٣٢١/٦) (٩١٥٧/٨٣) حيث قال الحاكم، وأبو سعيد النقاش، وأبو نعيم: «يروي عن الثوري وغيره أحاديث موضوعة». اهـ.

(٩٠٣) «إن في الجنة بابًا يقال له الضحى لا يدخل منه إلا من حافظ على صلاة الضحى».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧٤٩٤/٦/١٤) من حديث يحيى بن شبيب اليماني قال: حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أنس مرفوعًا، وعلته يحيى بن شبيب يروي أحاديث باطلة موضوعة عن الإمام الثوري وغيره كما بينا آنفًا.

(٩٠٤) «إن في الجنة بابًا يقال له ضحى فمن صلى صلاة الضحى حنَّت إليه صلاة الضحى كما يحنُّ الفصيل إلى أمه، حتى إنها لتستقبله حتى تُدْخله الجنة».

الحديث لا يصح: أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٧٤٩٤/٦/١٤) من حديث يحيى بن شبيب بسامراء في زمان المهدي؛ قال: حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أنس مرفوعًا، وعلته يحيى بن شبيب اليماني يروي أحاديث باطلة موضوعة عن الإمام الثوري وغيره كما بينا آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل.

(٩٠٥) «من داوم على صلاة الضحى ولم يقطعها إلا من علة كنت أنا وهو في الجنة في زورق مِن نور في بحر من نور الله حتى نزور رب العالمين».

الحديث لا يصح: أخرجه الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٣١٠/١) من حديث زكريا بن دويد الكندي عن حميد الطويل عن أنس بن مالك مرفوعًا، وعلته زكريا بن دويد قال ابن حيان: «شيخ يضع الحديث على حميد الطويل لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه». اهـ.

وقال الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٨٧٤/٧٢/٢) «كذاب».

فائدة: ويغني عن هذا الكذب الباطل الموضوع في فضل صلاة الضحى، ما جاء في السنة من الصحيح المسند وعلى سبيل المثال لا الحصر: ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» ح(٧٢٠) من حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة، صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمرٌ بالمعروف صدقة، ونهيٌ عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى».

قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: «في الحديث دليل على عظم فضل صلاة الضحى وكبير موقعها، وأنها تصح ركعتين». اهـ.

الحلقة (٧٦)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

محمد بن الموصلي (ت٧٧٤) فيما اختصره من (صواعق ابن القيم) يشخّص ويلخّص الداء والدواء في صفة كلام الله تعالى

إعداد أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

ففي تصويره لمذهب الأشعرية وتشخيص ما به وله من داء ودواء، يحكي العلامة محمد بن الموصلي ص٥١٣ في كتابه (استعجال الصواعق المرسلة) وهو مختصر لـ (الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) لابن القيم.. مذهب الأشعري فيقول - بعد أن ذكر مذهب المعتزلة، ثم معتقد الكُلاَبية-: "مذهب الأشعري - يعني: القديم الذي رجع عنه، خلافاً لمذهبه الجديد الذي حكيناه عنه في الحلقة (٦٨) - ومن وافقه من متأخري الأشعرية: أن (كلام الله) معنى واحد قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء، وهو عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل من واحد، وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً صفات لذلك المعنى الواحد، لا أنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء، وكونه قرآناً وتوراة وانجيلاً تقسيماً للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً، وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان اسمه إنجيلاً، والمعنى واحد، وهذه الألفاظ عبارة عنه، وهي خلق من المخلوقات، وعنه - يعني: الأشعري قبل تراجعه لمذهب السلف- لم يتكلم الله بهذا الكلام العربي، ولا سُمع من الله".

ومما حكاه ابن الموصلي عن متأخري الأشاعرة في مسألة (تكلم العباد بالقرآن) قوله ص٥٢٠ معرِّضاً بهم: "ومن هؤلاء من يقول: (بل الله ألهم جبريل معانيه، فعبر عنها جبريل بعبارته، فهذه الألفاظ كلام جبريل في الحقيقة لا كلام الله)، ومنهم من يقول: (جبريل علَّم رسول الله معانيه وألقاها في روعه، ورسول الله أنشأ ألفاظها وعبر بها من عنده، دلالة على ذلك المعنى الذي ألقاه إليه الملك)، فالقرآن العربي على قولهم: قول محمد أو قول جبريل، وهو قول من لا نسميهم من الأشعرية لشهرتهم وإن حرَّفوا له العبارة وزيَّنوا له الألفاظ، فهو

قولهم الذي يناظرون عليه ويكفرون من خالفهم فيه، ويقولون فيه: (قال أهل الحق - يقصدون بذلك: أنفسهم- كذا، وقال سائر فرق أهل الزيغ بخلافه)".. قال قبلها:

"والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول عليه السلام، وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهل الحق ومن عداهم أهل الباطل، وجمهور العقلاء يقولون: إن تصوُّر هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه، وهو لا يُتصور إلا كما تُتصور المستحيلات والممتنعات، وهذا المذهب مبني على: مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب، ويسمونها: (مسألة حلول الحوادث)، وحقيقتها: إنكار أفعاله وربوبيته وارادته ومشيئته" ا.هـ.

١ - رد جماعة الحق وأهل السنة على ترهات متأخري الأشعرية:

وقال ص٥٢١: "وأصحاب الأشعري المتقدمون بريؤون من هذا المذهب المخالف للحس والعقل والفطرة، ونصوص أحمد إنما تدل على خلافه" وراح يسوق معتقد أحمد.. وفي إجمال ما رد به الأتباع الذين تلقوا هذا الباب عن رسلهم يقول رحمه الله ص٥١٥: إنهم "أثبتوا لله صفة الكلام كما أثبتوا له سائر الصفات، ومحال قيام هذه الصفة بنفسها أو بغير موصوف بها، قالوا: (والكلام الحقيقي، هو: الذي يوجد بقدرة المتكلم وارادته قائمًا به، لا يُعقل غير هذا، وأما ما كان موجودًا بغير قدرته ومشيئته وان سُمع منه، فإنه ليس بكلام له وانما هو مخلوق خلقه الله فيه، فلو كان ما قام بالرب من الكلام غير متعلق بمشيئته بل يتكلم بغير اختياره لم يكن هذا هو الكلام المعهود، بل هذا شيء آخر غير ما يعرفه العقل ويشهد به الشرع)، قال أهل الحق: (ولو لم يكن هناك ألفاظ مسموعة لم يكن ثَمّ: صفة كلام البتة، ولو كان عاجزاً عن الكلام في الأزل لم يصرْ قادراً عليه فيما لم يزل، فإنه إذا كانت حاله قبل وبعدُ سواء، وهو لم يستفد صفة الكلام من غيره، فمن المستحيل أن تُجدد له هذه الصفة بعد أن كان فاقدًا لها بالكلية، وكذلك إثبات قِدم عين كل فرد من أنواع الكلام، وبقائه أزلاً وأبداً، واقتران حروفه بعضها ببعض بحيث لا يسبق شيء منها لغيره، لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة)".

٢ - القرآن لدى أهل السنة هو عين كلام الله خلافاً للأشعرية:

وفي إجمال ما رَدّ به أهل السنة على ترهات الأشعرية، يقول: "قد دلت النصوص النبوية أنه سبحانه يتكلم إذا شاء بما شاء، وأن كلامه يُسمع، وأن القرآن - الذي هو سور وآيات وحروف وكلمات- هو عين كلامه حقاً، لا تأليف ملك ولا بشر، وأن القرآن جميعه حروفه ومعانيه، نفس كلامه الذي تكلم به حقيقة وليس بمخلوق، ولا بعضه قديماً وهو (المعنى) وبعضه مخلوق وهو (الكلمات والحروف)، ولا بعضه (النفسي) كلامه وبعضه كلام غيره، ولا ألفاظ القرآن وحروفه ترجمة ترجم بها جبريل أو محمد عليهما السلام عما قام بالرب من المعنى من غير أن يتكلم الله بها، بل القرآن اسم لهذا النظم العربي الذي بلَغه الرسول عن جبريل عن رب العالمين، فللرسولين مجرد التبليغ والأداء، لا الوضع والإنشاء كما يقول أهل الزيغ والاعتداء.

فكتاب الله عند أهل الزيغ غيرُ كلامه، كتابه مخلوق وكلامه غير مخلوق، والقرآن إن أريد به الكتاب كان مخلوقاً وإن أريد به الكلام كان غير مخلوق، وعندهم أن الذي قال عنه السلف: (هو غير مخلوق) هو عين القائم بالنفس، وأما ما جاء به الرسول وتلاه على الأمة فمخلوق، وهو عبارة عن ذلك المعنى، وعندهم: (أن الله لم يكلم موسى، وإنما اضطره إلى معرفة المعنى القائم بالنفس من غير أن يَسمع منه كلمة واحدة، وما يقرؤه القارئون ويتلوه التالون هو عبارة عن ذلك المعنى)، وفرَعوا على هذا الأصل فروعاً، منها - من غير ما سبق-:

أن كلام الله لا يَتكلم به غيره، فإنه عين القائم بنفسه، ومحال قيامه بغيره، فلم يتل أحد قط كلام الله ولا قرأه.. ومنها: أن هذا الذي

جاء به الرسول ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز.. ومنها: أنه لا يقال: إن الله تكلم ولا يتكلم، ولا قال ولا يقول، ولا خاطب ولا يُخاطب، فإن هذه كلها أفعال إرادية تكون بالمشيئة، وذلك المعنى القائم بالنفس: صفة أزلية لا تتعلق بالمشيئة.. ومنها: أن لا يجوز أن ينْزل القرآن إلى الأرض.. ومنها: أن القرآن الكريم لا نصف له ولا رُبع ولا خُمس ولا عُشر ولا جُزء له، البتة.. ومنها: أن هذا القرآن العربي تأليف جبريل أو محمد، أو مخلوق خلقه الله في اللوح المحفوظ فنزل به جبريل من اللوح لا من الله على الحقيقة.. إلى غير ذلك" مما حكيناه عنهم، وكان ما سبق رداً عليه.. فهل يعقل الأزهر ذلك؟! وهل يغفل عما يُدرّسه لأبنائه؟!

يقول رحمه الله بعد أن ذكر الكثير من نصوص الكتاب والسنة في رَدّ ما قاله الأشعرية وساقه عنهم: "إلى أضعاف أضعاف ذلك من نصوص الكتاب والسنة التي إن دُفعت -أي: رُفضت ورُدّت- دُفعت الرسالة بأجمعها، وإن كانت مجازاً كان الوحي كله مجازا، وإن كانت من المتشابه كان الوحي كله من المتشابه، وإن وجب أو ساغ تأويلها على خلاف ظاهرها ساغ تأويل جميع القرآن والسنة على خلاف ظاهره، فإن مجيء هذه النصوص في الكتاب والسنة وظهور معانيها وتعدد أنواعها واختلاف مراتبها أظهر من كل ظاهر وأوضح من كل واضح، فكم جُهْد ما يبلغ التأويل والتحريف والحمل على المجاز!، وهب أن ذلك يمكن في موضع واثنين وثلاثة وعشرة، أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف موضع كلها على المجاز وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر؟! ولا تستبعد قولنا: (أكثر من ثلاثة آلاف): فكل آية وكل حديث إلهي، وكل حديث فيه إخبار عما قال الله أو يقول، وكل أثر فيه ذلك إذا استقرئت زادت على هذا العدد؛ ويكفي:

أحاديث الشفاعة، وأحاديث الرؤية، وأحاديث الحساب، وأحاديث تكليم الله لملائكته وأنبيائه ورسله وأهل الجنة، وأحاديث تكليم الله لموسى، وأحاديث التكلم عند النزول الإلهي، وأحاديث تكلمه بالوحي، وأحاديث تكليمه للشهداء، وأحاديث تكليم كافة عباده يوم القيامة بلا ترجمان ولا واسطة، وأحاديث تكليمه للشفعاء يوم القيامة حين يأذن لهم في الشفاعة، إلى غير ذلك، إذ كل هذا وأمثاله وأضعافه هو عندهم مجاز لا حقيقة له، سبحانك هذا بهتان عظيم!، بل نُشهدك ونُشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أنك أحق بهذه الصفة وأولى من كل أحد، وأن البحر لو أمده من بعده سبعة أبحر وكانت أشجار الأرض أقلاماً يُكتب بها ما تتكلم به، لنفدت البحار والأقلام ولم تنفد كلماتك".

٣- الله لم يزل متكلما بصوت إذا شاء، وصفة كلامه أزلية وهي من لوازم ذاته:

ويقول ص٥٤٦ بنفس المصدر في ردْ بعض ما فاه به أهل الاعتزال ومتكلمة الأشاعرة: "قال أهل السنة والحديث: إنه لم يزل سبحانه متكلماً إذا شاء، ويتكلم بمشيئته، ولم تتجدد له هذه الصفة، بل كونه متكلماً بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة، وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه، ليس متحداً بهم ولا حالاً فيهم".

وقال أهل السنة في سماع كلامه: إنه "(يُسمعُ كلامُه سبحانه منه تارة بلا واسطة، كما سمعه موسى وجبريل وغيره، وكما يُكلم عباده يوم القيامة ويكلم أهل الجنة، ويكلم الأنبياء في الموقف.. ويُسمعُ من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغاً عنه، وكما سمع الصحابة القرآن من الرسول عن الله، فسمعوا كلام الله بواسطة المبلِّغ،

وكذلك نَسمع نحن بواسطة التالي). فإذا قيل: (المسموع مخلوق أم غير مخلوق؟)، قيل: (إذا أردت المسموع عن الله فهو كلامه غير مخلوق، وان أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل. فإن سألت عن الصوت الذي رُوي به كلام الله فهو مخلوق. وان سألت عن الكلام المؤدَّي بالصوت فهو غير مخلوق)". وقالوا بحق من أنكر الصوت: إنه تعالى "لم يزل متكلماً بصوت إذا شاء".

هذا، ولا يخرج ما ذكره ابن الموصلي فيما أجمله لابن القيم بحق الأشاعرة ورد شبهاتهم، مثقال حبة خردل عما ذكره جماعة أهل السنة وأوسعوا فيه الكلام إثباتاً ورداً ودحضاً.. ولقد شفى ابن القيم حين قال في نونيته:

والله ربي لم يزل متكلما
وكلامه المسموع بالآذان
صدقا وعدلا أحكمت
كلماته طلباً وإخباراً بلا نقصان
ورسوله قد عاذ بالكلمات
من لدغ ومن عين ومن شيطان
أيعاذ بالمخلوق حاشاه من
الإشراك وهو مُعلِّم الإيمان
بل عاذ بالكلمات وهي صفاته
سبحانه ليست من الأكوان
وكذلك القرآن عين كلامه
المسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه
لفظا ومعنى ما هما خلقان
تنزيل رب العالمين وقوله
اللفظ والمعنى بلا روغان
لكن أصوات العباد وفعلهم
كمدادهم والرقّ مخلوقان
فالصوت للقاري ولكن الكلام
كلامُ ربِ العرش ذي الإحسان
هذا إذا ما كان ثم وساطة
كقراءة المخلوق للقرآن
فإذا انتفت تلك الوساطة مثل
ما قد كلم المولود من عمران
فهنالك المخلوق نفس السمع
لا شيء من المسموع فافهم ذان
ودليلهم في ذاك بيت قاله
فما يقال الأخطل النصراني
يا قوم قد غلط النصارى قبل
في معنى الكلام وما اهتدوا لبيان
ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم
إذ قيل: كلمة خالق رحمن
ولأجل ذا جعلوه ناسوتا ولاهوتا
قديما بعد متحدان
ونظير هذا من يقول: كلامه
معنى قديم غير ذي حدثان
والشطر مخلوق وتلك حروفه
ناسوته لكن هما غيران
فانظر إلى ذاك الاتفاق فإنه
عجب وطالِعْ سنة الرحمن
لكن أهل الحق قالوا إنما
جبريل بلغه عن الرحمن
ألقاه مسموعا له من ربه
للصادق المصدوق بالبرهان

ومما قاله:

والعبد يقرؤه بصوت طيِّب
وبضده فهما له صوتان
وكذاك يكتبه بخط جيد
وبضده فهما له خطان
أصواتنا ومدادنا وأداؤنا
والرَّقّ ثم كتابة القرآن
هو قول ربي آيُهُ وحروفه
ومدادُنا والرَّقّ مخلوقان
الكل مخلوق وليس كلامه
المتلوُ مخلوقاً هما شيئان
فعليك بالتفصيل والتمييز فال
إطلاق والإجمال دون بيان
قد أفسدا هذا الوجود
وخبطا الأذهان والآراء كل زمان

والى لقاء آخر والحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى فضيلة الشيخ: خالد نصر- فرع أنصار السنة - منيا القمح، بمحافظة الشرقية. غفر الله له ورحمه رحمة واسعة. وتتقدم اللجنة العلمية وأسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ ومحبيه.

اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنّك وكرمك يا أرحم الراحمين.

باب الفقه

صلاة الخوف

الحلقة الأولى

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فنبدأ في هذا اللقاء الحديث عن صلاة الخوف وما يتعلق بها من أحكام، ونتكلم عنها في مسائل منها تعريفها وحكمها، والمواطن التي يجوز فيها صلاة الخوف وعدد ركعاتها، والروايات التي وردت في صلاة الخوف، وكيفية صلاة الخوف وصلاة الجمعة في الخوف والسهو في صلاة الخوف، وحمل السلاح في هذه الصلوات، ونعرض لهذه المسائل تباعًا.

وقد خُصَّ نبينا صلى الله عليه وسلم عن سائر الأنبياء بخصال شرف، ومُيِّزَ بمحامد لم تكن لمن قبله من الأنبياء عليهم السلام، فنالت هذه الأمة المحمدية -ببركة هذا النبي الكريم الميمون- شيئًا من هذه الفضائل والمكارم. ومن ذلك رفع الحرج: وهو إزالة ما في التَّكليف الشَّاقِّ من المشقَّة برفع التَّكليف من أصله، أو بتخفيفه، أو بالتَّخيير فيه، أو بأن يُجعل له مخرج، كرفع الحرج في اليمين بإباحة الحنث فيها مع التَّكفير عنها أو بنحو ذلك من الوسائل، فرفع الحرج لا يكون إلَّا بعد الشِّدَّة، خلافاً للتَّيسير، ومن هذا صلاة الخوف، وهكذا فإن الله رفع الحرج والضيق عن هذه الأمة، فضلاً منه وإحسانًا، وكرمًا وامتنانًا.

أولا: تعريف صلاة الخوف:

الصلاة: لغة الدِّعاء، والخوف لغة: الفزع والذُّعر، قال ابن فارس رحمه الله: الخاء، والواو، والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع، يقال: خفت الشيء خوفا، وخيفة."(معجم المقاييس في اللغة: لابن فارس، كتاب الخاء، باب الخاء والواو، وما يثلثهما، ص٣٣٦).

أما الخوف في الاصطلاح: فهو توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو متحققة. وصلاة الخوف في الاصطلاح هي: الصلاة المكتوبة يحضر وقتها والمسلمون في مقاتلة العدو أو في حراستهم. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٣/٣١٣).

ثانيا: حكم صلاة الخوف:

ذهب جمهور الفقهاء إلى مشروعية صلاة الخوف في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، وإلى أنها لا

تزال مشروعة إلى يوم القيامة، وقد ثبت ذلك بالكتاب، قال تعالى: (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) (سورة النساء الآية ١٠٢).

وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته، ما لم يقم دليل على اختصاصه؛ لأن الله أمرنا باتباعه، وتخصيصه بالخطاب لا يقتضي تخصيصه بالحكم.

وأما السنة: فقد ثبت وصح أنه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف في مواضع: في غزوة ذات الرقاع التي حدثت بعد الخندق على الصواب، وبطن نخل (اسم موضع في نجد بأرض غطفان) وعسفان (يبعد عن مكة نحو مرحلتين)، وذي قرد (ماء على بريد من المدينة، وتعرف بغزوة الغابة، في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية).

وقد وردت بها الأحاديث في صفة صلاتها، وستأتي معنا فيما بعد، ومنها حديث صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم ذات الرقاع: "أن الطائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو، فصلى بالتي معه ركعة، ثم ثبت قائمًا، فأتموا لأنفسهم، ثم انصرفوا وجاه العدو، وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته فأتموا لأنفسهم فسلم بهم" (رواه الجماعة إلا ابن ماجه). وفي رواية أخرى للجماعة عن صالح بن خوات عن سهل بن أبي حثمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثل هذه الصفة. قال الشافعي: "وهو أشبه الأحاديث في صلاة الخوف بظاهر كتاب الله عز وجل".

كما ثبت بالسنة القولية، كقوله صلى الله عليه وسلم: "صلوا كما رأيتموني أصلي" (أخرجه البخاري من حديث مالك بن الحويرث وهو عام). (انظر: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار لابن عبد البر ٣٢٢/٢).

وثبت بالآثار الصحيحة عن جماعة من الصحابة -رضي الله عنهم- أنهم صلوها في مواطن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في مجامع بحضرة كبار من الصحابة، وممن صلاها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في حروبه بصفين وغيرها، وحضرها من الصحابة خلائق كثيرون منهم: سعيد بن العاص، وسعد بن أبي وقاص وأبو موسى الأشعري، وغيرهم من كبار الصحابة -رضي الله عنهم-، وقد روى أحاديثهم البيهقي وبعضها في سنن أبي داود. وصلى أبو موسى الأشعري صلاة الخوف بأصحابه، وروي أن سعيد بن العاص كان أميرًا على الجيش بطبرستان فقال: "أيكم صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف؟"، فقال حذيفة: أنا؛ فقدمه فصلى بهم. (انظر المجموع شرح المهذب للنووي ٤٠٥/٤، المغني لابن قدامة ٢٥٠/٢).

وجمهور العلماء متفقون على أن حكمها باقٍ بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا أبا يوسف والمزني، وكان أبو يوسف يقول أولا بقول الجمهور، ثم رجع فقال: "كانت مشروعة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ومن يصلي معه وذهبت بوفاته". وقال المزني: "كانت ثم نسخت في زمن النبي صلي الله عليه وسلم" (انظر المجموع شرح المهذب للنووي ٤٠٥/٤، العناية شرح الهداية للبابرتي ٤٥٦/٢).

واحتج لأبي يوسف بقول الله تعالي: (واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة) الآية: فقد شرط كونه فيهم لإقامة صلاة الخوف، فإذا خرج من الدنيا انعدمت الشرطية، ولأن الناس كانوا يرغبون في الصلاة خلفه ما لا يرغبون في الصلاة خلف غيره، فشرع بصفة الذهاب والمجيء لينال كل فريق فضيلة الصلاة خلفه. وقد ارتفع هذا المعنى بعده: فكل طائفة يتمكنون من أداء الصلاة بإمام على حدة، فلا يجوز لهم أداؤها بصفة الذهاب والمجيء، ولأن الجواز حال حياته ثبت مع المنافي؛ لما فيها من أعمال كثيرة ليست من الصلاة وهي الذهاب والمجيء ولا بقاء للشيء مع ما ينافيه إلا أن الشرع أسقط اعتبار

المنافي حال حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- لحاجة الناس إلى استدراك فضيلة الصلاة خلفه، وهذا المعنى منعدم في زماننا فوجب اعتبار المنافي. (انظر: المبسوط للسرخسي ٢/٨١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني ١/٢٤٢، المجموع شرح المهذب للنووي ٤/٤٠٥).

وأجيب عنه: بأنه ليس بصحيح؛ فإن ما ثبت في حق النبي صلى الله عليه وسلم ثبت في حقنا ما لم يقم دليل على اختصاصه به؛ لأن الأصل في الشرع أن يكون عامًا في الأوقات كلها إلا إذا قام دليل التخصيص، وأما الآية فليس فيها أنه إذا لم يكن الرسول فيهم لا تجوز فكان تعليقًا بالسكوت وأنه غير صحيح. فإن الله تعالى أمر باتباعه بقوله (فاتبعوه)، وسُئل عن القبلة للصائم فأجاب بأنني أفعل ذلك. فقال السائل: لست مثلنا؛ فغضب، وقال: "إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله تعالى وأعلمكم بما أتقي".

ولو اختص بفعله لما كان الإخبار بفعله جوابًا ولا غضب من قول السائل: "لست مثلنا"؛ لأن قوله إذًا يكون صوابًا، وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يحتجون بأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرونها معارضة لقوله وناسخة له، ولذلك لما أخبرت عائشة وأم سلمة بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبًا من غير احتلام ثم يغتسل ويصوم ذلك اليوم تركوا به خبر أبي هريرة "من أصبح جُنبًا فلا صوم له"، ولما ذكروا ذلك لأبي هريرة قال: هن أعلم إنما حدثني به الفضل بن عباس ورجع عن قوله، ولو لم يكن فعله حجة لغيره لم يكن معارضًا لقوله.

وقد أقام الصحابة صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسببها هو الخوف يتحقق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان في حياته، ولم يكن ذلك لنيل فضيلة الصلاة خلفه فترك المشي واجب في الصلاة، ولا يجوز ترك الواجب لاحراز الفضيلة ثم الآن يحتاجون إلى إحراز فضيلة تكثير الجماعة فإنها كلما كانت أكثر فهي أفضل، وبه تبين أن ما ذكر من المعنى غير سديد. (انظر: المبسوط للسرخسي ٢/٨١، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني ١/٢٤٢، المغني لابن قدامة ٢/٢٥٠).

واحتج المزني على النسخ بأن النبي صلي الله عليه وسلم فاته صلوات يوم الخندق ولو كانت صلاة الخوف جائزة لفعلها ولم يفوت الصلاة.

وأجيب بأن دعوى المزني النسخ فجوابه: أن النسخ لا يثبت إلا إذا علمنا تقدم المنسوخ وتعذر الجمع بين النصين ولم يوجد هنا شيء من ذلك، بل المنقول المشهور، وأنها لم تشرع حينذاك وانما شرعت بعد ذلك، فصلاة الخوف نزلت بعد الخندق فكيف ينسخ به، ولأن صلاة الخوف على هذه الصفة جائزة ليست واجبة فلا يلزمه من تركها النسخ، ولأن الصحابة أعلم بذلك فلو كانت منسوخة لما فعلوها ولأنكروا على فاعليها. (انظر المجموع شرح المهذب للنووي ٤/٤٠٥ الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن ٤/٣٥٠).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى: الأستاذ الشيخ عاطف عثمان عضو مجلس الإدارة بفرع أنصار السنة المحمدية بفيصل وأمين الصندوق السابق ومدير الإدارة المالية بمجموعة شركات أوراسكوم على مستوى الجمهورية. غفر الله له ورحمه رحمة واسعة. وتتقدم اللجنة العلمية وأسرة تحرير المجلة بخالص العزاء لأسرة الشيخ ومحبيه.

اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، وارزقه الفردوس الأعلى من الجنة بمنك وكرمك يا أرحم الراحمين.

ذمّ البخل والشحّ

الحلقة الثانية

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي إبراهيم
نائب رئيس هيئة قضايا الدولة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد : ما يزال الحديث متصلًا عن ذم البخل والشح فنقول وبالله التوفيق

١٢ - من يبخل يبخل عن نفسه :

قال تعالى : (إِنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ (٣٦) إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ (٣٧) هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَاللَّهُ الْغَنِىُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم) (محمد : ٣٦ - ٣٨) .

قال السعدى - رحمه الله - فى " تفسيره " : ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه لأنه حرم نفسه ثواب الله تعالى ، وفاته خير كثير ، ولن يضر الله بترك الإنفاق شيئا . فإن الله هو الغني وأنتم الفقراء تحتاجون إليه في جميع أوقاتكم ، لجميع أموركم) اهـ .

١٣ - البخيل يأمر الناس بالبخل :

وقال تعالى : (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) (النساء : ٣٧) .

قال ابن تيمية - رحمه الله - فى " مجموع الفتاوى " : (قدْ تُؤُوّلتْ في البُخل بالمال والمنع والبخل بالعلم ونحوه ، وهي تَعُمُّ البخل بكل ما ينفع في الدّين والدُّنيا من علم ومال وغير ذلك) اهـ.

١٤ - البخل يقدح فى دخول الجنة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ما يُدريك أنه شهيدٌ ؟ ! لعلَه كان يتكلمُ فيما لا يعنيه ، أو يبخلُ بما لا يُنقصُه (أورده المنذري ، وقال الألباني : صحيح لغيره).

وفى رواية عنه : (قتل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكت عليه باكيةٌ فقالتْ واشهيداه، قال: فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم مه، ما يُدريكِ أنّه شهيدٌ؟ ولعلَه كان يتكلمُ فيما لا يَعْنيه ويبخلُ بما لا يُنقصُه) (رواه أبو يعلى).

١٥ - بغض الله للبخيل المنان :

عن أبِى ذر الغفارى : (إنَّ الله يُحبُّ ثلاثةَ ، ويُبغضُ ثلاثة : يُبغضُ الشيخَ الزاني ، والفقيرَ المختالَ ، والمُكثرَ البخيلَ ، ويُحبُّ ثلاثة : رَجُلٌ كان في كتيبة ، فكرَّ يَحميهم حتى قُتل ، أو فتحَ الله عليه ، ورَجُلٌ كان في قوم ، فأدلجوا ، فنزلوا من آخر الليل ، وكان النومُ أحبَّ إليهم ممّا يُعدلُ به ، فناموا ، وقام يتلو آياتي ويتملقني ، ورجُلٌ كان في قوم فأتاهم رجُلٌ يسألهم بقرابة بينهم وبينه فبخلوا عنه ، وخلفَ بأعقابهم ، فأعطاهُ حيث لا يَراه إلا الله ، ومَن أعطاه) (رواه أحمد وصححه الأرناؤوط).

وفى روايـة أخرى : (ثلاثةٌ يُحبُّهمُ الله ، وثلاثةٌ يَشنؤهمُ الله : الرجُلُ يلْقى العدوَّ في فئة فينصبُ لهُمْ نَحْرَهُ حتى يُقتلَ أو يُفتحَ لأصحابه ؛ والقوْمُ يُسافرُون فيطول سراهُمْ حتى يُحبُّوا أنْ يمسُّوا الأرْض فينزلون ؛ فيتنحى أحدُهمْ فيصلي حتى

يوقظهم لرحيلهم . والرجل يكون له الجار يؤذيه جاره فيصبر على أذاه حتى يفرق بينهما موت أو ظعن . والذين يشنؤهم الله : التاجر الحلاف ، والفقير المختال : والبخيل المنان) (رواه أحمد وصححه الألباني).

وفي رواية : (إن الله يحب ثلاثة . ويبغض ثلاثة فذكر الحديث إلى أن قال : قلت : فمن الثلاثة الذين يبغضهم الله ؟ قال : المختال الفخور وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل : إن الله لا يحب كل مختال فخور والبخيل المنان . والتاجر أو البائع الحلاف .) (أورده المنذري وصححه الألباني).

١٦ - البخيل محبوس عن الإحسان :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما . فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده . حتى تخفي بنانه وتعفو أثره . وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها . فهو يوسعها ولا تتسع) (رواه البخاري).

١٧ - دعوة الملائكة على البخيل بالتلف :

عن عبد الرحمن بن سبرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أما علمت أن ملكا ينادي في السماء يقول : اللهم اجعل لمال منفق خلفا . واجعل لمال ممسك تلفا ؟) (أورده السيوطي في الجامع الصغير . وصححه الألباني).

١٨ - البخيل من أهل النار :

عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر له . الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا . والخائن الذي لا يخفى له طمع . وإن دق إلا خانه . ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل أو الكذب والشنظير الفحاش . وفي رواية : بهذا الإسناد . ولم يذكر في حديثه : كل مال نحلته عبدا . حلال . وفي رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم . وساق الحديث . وقال في آخره : قال يحيى : قال شعبة : عن قتادة . قال : سمعت مطرفا في هذا الحديث . وفي رواية : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيبا . فقال : إن الله أمرني وساق الحديث بمثل حديث هشام . عن قتادة . وزاد فيه وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد . ولا يبغي أحد على أحد وقال في حديثه وهم فيكم تبعا لا يبغون أهلا ولا مالا . فقلت : فيكون ذلك ؟ يا أبا عبد الله قال : نعم . والله لقد أدركتهم في الجاهلية . وإن الرجل ليرعى على الحي . ما به إلا وليدتهم يطؤها) (رواه مسلم).

١٩ - عقاب البخيل يوم القيامة :

قال الله تبارك وتعالى : (وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (آل عمران : ١٨٠).

قال السعدي - رحمه الله - في " تفسيره " : (أي ولا يظن الذين يبخلون . أي : يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله . من المال والجاه والعلم . وغير ذلك مما منحهم الله . وأحسن إليهم به . وأمرهم ببذل ما لا يضرهم منه لعباده . فبخلوا بذلك . وأمسكوه . وضنوا به على عباد الله . وظنوا أنه خير لهم . بل هو شر لهم . في دينهم ودنياهم . وعاجلهم وآجلهم (سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (آل عمران : ١٨٠) . أي : يجعل ما بخلوا به طوقا في أعناقهم . يعذبون به) اهـ .

٢٠ - تيسير البخيل المستغني للعسرى :

قال تعالى : (وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ) (الليل : ٨ - ١١).

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (كنا في جنازة في بقيع الغرقد . فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقعد وقعدنا حوله . ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته . ثم قال : ما منكم من أحد . ما من نفس منفوسة . إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار . وإلا وقد كتبت شقية . أو سعيدة . قال فقال رجل : يا رسول الله . أفلا نمكث على كتابنا . وندع العمل ؟ فقال : من كان من أهل السعادة . فسيصير إلى عمل أهل السعادة . ومن كان من أهل الشقاوة . فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال : اعملوا فكل ميسر . أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة . وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة . ثم قرأ : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ) (الليل : ٥ - ١٠) . وفي رواية : بهذا الإسناد في معناه

. وقال فأخذ عودا . ولم يقل : مخصرة . وقال ابن أبي شيبة في حديثه ، عن أبي الأحوص ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم) (رواه مسلم).

٢١- الشح أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالبخل فبخلوا :

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش : فإن الله لا يحب الفحش ، ولا التفحش ، وإياكم والشح : فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا . قال : فقام رجل فقال : يا رسول الله ، أي الإسلام أفضل ؟ قال : أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك . فقام ذاك أو آخر فقال : يا رسول الله ، أي الهجرة أفضل ؟ قال : أن تهجر ما كره ربك ، والهجرة هجرتان : هجرة الحاضر والبادي . فهجرة البادي أن يجيب إذا دعي ، ويطيع إذا أمر ، والحاضر أعظمهما بلية . وأفضلهما أجرا .) (رواه أحمد ، وصححه أحمد شاكر) (الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش وإياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالفجور ففجروا) (أخرجه أحمد ، وصححه الألباني).

٢٢- هلاك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل :

عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، وهلاك آخرها بالبخل والأمل) (رواه أحمد فى الزهد ، وقال الألباني : حسن لغيره) .

وفى رواية عنه : (نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد ، ويهلك آخرها بالبخل والأمل) (رواها السيوطى فى الجامع الصغير ، وحسنها الألباني).

٢٣- البخل من علامات قيام الساعة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفس محمد بيده ! لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والبخل ، ويخون الأمين ، ويؤتمن الخائن ، ويهلك الوعول ، وتظهر التحوت . قالوا : يا رسول الله ! وما الوعول وما التحوت ؟ قال : الوعول : وجوه الناس وأشرافهم ، والتحوت : الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعلم بهم) (رواه ابن حبان . وقال الألباني : صحيح بمجموع طرقه) .

وعن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج . قالوا : يا رسول الله ، أيم هو ؟ قال : القتل القتل) (رواه البخارى ، ومسلم) .

قال ابن حجر - رحمه الله - فى " فتح البارى " : (أما قوله : ويلقى الشح . فالمراد إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم : حتى يبخل العالم بعلمه ، فيترك التعليم والفتوى ، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره ، ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير ، وليس المراد وجود أصل الشح : لأنه لم يزل موجودا) اهـ .

٢٤- النذر إنما يستخرج من البخيل :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له ، ولكن النذر يوافق القدر ، فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج.) (رواه مسلم).

٢٥- أبخل الناس من بخل بالسلام :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعجز الناس من عجز عن الدعاء ، و أبخل الناس من بخل بالسلام) (أورده السيوطى فى الجامع الصغير ، وصححه الألباني) .

٣٦- ومن البخل عدم الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم :

عن على بن أبى طالب (البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي) (رواه الترمذي وصححه الألباني).

٢٧- يأبى الله لنبيه البخل :

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والله لكن فلانا ما هو كذلك ، لقد أعطيته ما بين عشرة إلى مائة فما يقول ذلك ! أما والله إن أحدكم ليخرج بمسألته من عندي يتأبطها (يعني تكون تحت إبطه) نارا . قال : قال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ! لم تعطها إياهم ؟ قال : فما أصنع ؟ يأبون إلا ذلك ، و يأبى الله لي البخل) (أورده المنذري فى الترغيب والترهيب ، وصححه الألباني) .

وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (أنه بينما هو يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقه الأعراب يسألونه فاضطروه إلى سمرة حتى خطف رداؤه وهو على راحلته فوقف فقال: (ردوا علي ردائي أتخشون علي البخل فلو كان عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا)) (رواه ابن حبان ، وصححه الألباني).

والحمد لله رب العالمين

منبر الحرمين

تزكية النفس.. خطوات ومآلات

إعداد: الشيخ د. فيصل بن جميل غزاوي

خطيب المسجد الحرام

إنَّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهدُ ألَّا إله إلَّا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

تزكية النفس ضرورة إيمانية:

أما بعدُ: فإن الله-تعالى- خلق الخَلْق وأتقنه وأحسَنَه، وهو أعلمُ به وبما ينفعُه ويُصلحُه؛ ولذلك ندبَنا-عزَّ وجلَّ- إلى تزكية أنفسنا فقال سبحانه: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا) (الشمس: ٧-١٠)، فلا فلاحَ للعبد إلا بتزكية نفسه، والحرص على إصلاحها، وتهذيب طباعها، وتقويم اعوجاجها، وترويضها على الطاعة، وتطهيرها من الأخلاقِ الدنيئة والرذائل القبيحة.

ومتى ما أراد المرء أن يؤسِّس قلبه على التقوى، فلا بد له من الصبر والمجاهدة؛ فإنَّ للشهوات واللذات سلطانًا على النفوس، واستيلاءً وتمكنًا في القلوب، يجعل تركها عزيزًا، والكفَّ عنها شاقًا، والخلاصَ منها عسيرًا، ولكنْ مع هذا كلِّه فإنَّ مَن اتَّقى الله وقاه وهداه، ومَنْ لجأ إليه واستعان به أعانه وآواه، ومَنْ توكل على ربه في إصلاح نفسه كفاه (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ) (الطلاق: ٣).

الصبر والمجاهدة وسيلة لتزكية النفوس

عبادَ الله: وإنما يجد المشقة والكلفة في تَرْك المألوفات والعوائد السيئة، مَنْ تركها لغير الله، أمَّا مَنْ تركها صادقًا مخلصًا من قلبه لله، ابتغاءَ مرضاة الله، فإنه لا يجد في تركها مشقةً إلَّا أول مرة وفي بداية الأمر؛ ليُمتحن أصادقٌ هو في تركها أم كاذبٌ، فإن صبَر على تلك المشقة قليلًا، تحوَّلت لذةً، وذاق صاحبُها حلاوة الطاعة، وكلَّما ازدادت الرغبة في المحرم، وتاقت النفس إلى فعله، وكثرت الدواعي فيه عَظُمَ الأجـرُ في تركه وتضاعفت المثوبة في مجاهدة النفس على الخلاص منه، وما أعظمَ جزاءَ مَنْ تاب وأناب، وترك المعاصي لله، وتنزه عن فعل القبائح، قال تعالى: (إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (الفرقان: ٧٠)، وقال

صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها؛ فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة" (متفق عليه).

منْ ترك شيئا لله عوّضه الله خيرا منه:

أيها الإخـوة: تظاهرت نصوص الشرع على أن منْ ترك شيئا لله-تعالى- وآثر ما نُدب إليه وحُض عليه عوّضه الله خيرًا منه، فعنه-صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إنك لن تدع شيئا اتقاء الله، جل وعز، إلا أعطاك الله خيرًا منه" (رواه أحمد). وفي رواية له: "إنك لن تدع شيئا لله-عز وجل- إلا بدلك الله به ما هو خيرٌ لك منه".

عباد الله: شأن المؤمن أن يلزم التقوى، ويُؤثر الآخرة الباقية على الدنيا الفانية، فيترك ما يتركه ابتغاء رضوان الله، ورغبة في أن يعوّضه الله ما هو أجل منه، يؤيد ذلك قوله-صلى الله عليه وسلم-: "من سرّه أن يسقيه الله الخمر في الآخرة؛ فليتركها في الدنيا، ومن سرّه أن يكسوه الله الحرير في الآخرة؛ فليتركه في الدنيا" (رواه الطبراني)، وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "أنا زعيمٌ ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان مُحقا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا" (رواه أبو داود)، وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "منْ كظم غيظا وهو قادرٌ على أن يُنفذه، دعاه الله-سبحانه وتعالى- على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يُخيّره من الحور العين ما شاء" (رواه أبو داود) والترمذي، وقوله-صلى الله عليه وسلم-: "منْ ترك اللباس تواضعا لله-وهو يقدرُ عليه- دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يُخيّره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها" (رواه الترمذي).

فمن سُنن الله تعالى وقواعد الشرع: "أنّ من ترك شيئا لله عوضه الله خيرًا منه ولم يجد فقده": فمنْ ترك الشرك بالله وامتنع عن صرف أيّ نوع من العبادة لغير الله، ووحّد الله وأناب إليه، بعبادته وإخلاص الدين له، اطمأن قلبُه وانشرح صدرُه، وسلم عقله واجتمع فكرُه وصفت نفسُه وحسُن مآله، وكانت له البشرى في الدنيا والآخرة.

ومن صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا، والابتعاد عن هذه الكبائر وأمهات المعاصي، قال سبحانه: (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ) الآية (الفُرقان: ٦٨)، وختم عزّ وجلّ صفات عباد الرحمن بقوله: (أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) (الفُرقان: ٧٥-٧٦).

أمثلة لما يترك ابتغاء وجه الله:

ومنْ ترك الاعتراض على قدر الله، وحبس نفسه عن التسخط عند المصائب، فسلم لربه في جميع أمره، رزقه الله الرضا واليقين وأحسن عاقبته، ومن ترك الذهاب إلى العرافين والسحرة والمشعوذين، رزقه الله الصبر وصدق التوكل وتحقق التوحيد، ومنْ ترك الخوف من غير الله، وصارت خشية الله شعاره سلم من الأوهام، وأمّنه الله من كل شيء، وأصبح الحق رائده، ورضا الله مطلبه ومبتغاه، ومنْ ترك التشاؤم وسلم من الوساوس والاعتقادات السيئة اطمأن قلبه، وقوي يقينه وتوكله على ربه، ومنْ ترك التكالب على حطام الدنيا الفانية، والانشغال بملذاتها العاجلة، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن ترك ما اشتبه عليه حله، ولم يتيقنْ جواز فعله، من مطعم أو مشرب أو تجارة... أو غير ذلك، فقد اتقى الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وترك ما يريبُه إلى ما لا يريبه، واستبرأ لدينه وعرضه، ومنْ ترك طلب الشهرة وحب الظهور أعلى الله شأنه، ورفع ذكره، ونشر فضله، ورزقه مودة الناس، ومنْ ترك مسألة الناس ورجاءهم، وإراقة ماء وجهه أمامهم، وعلق رجاءه بالله دون سواه عوّضه الله خيرًا ممّا ترك، فرزقه تحرُّر القلب، وسعة النفس، والاستغناء عن الخلق، ومنْ ترك عقوق والديه، وكان برًا بهما وترك التقصير في حقهما، وأحسن إليهما رضي الله عنه، ويسّر له أمره، وكان برُّه سببًا في مغفرة ذنوبه ودخوله الجنة.

ومـنْ تـرك قطيعة أرحـامـه، وصبر على جفائهم وأذاهـم، فواصلهم وتـودد إليهم، واتقى الله فيهم، بسط الله له في رزقه، وزاد له في عُمُره، ولا يزال معه ظهيرٌ من الله ما دام على تلك الصلة، ومـنْ ترك صحبة السوء والرفقة السيئة، عوّضه الله أصحابًا أبرارًا، وجلساء أخيارًا، يجد عندهم النفع والفائدة، وينال من جرّاء مصاحبتهم ومعاشرتهم خـيري الدنيا والآخـرة، ومـنْ ترك الغش في البيع والشراء بُـورك له في تجارته، وزادت ثقة الناس بـه، وكـثر إقبالهم على سلعته، والتاجرُ الأمـين

الصدوق المسلم مع النبيين والصديقين والشهداء يوم القيامة، ومن ترك الربا ومعاملاته المختلفة، وكسب الخبيث، بارك الله له في رزقه، وصار قنعا، وأغناه الله من واسع فضله، ووجد الفلاح والسعادة والطمأنينة، ومن ترك الاختلاس وسرقة المال؛ خوفا من الله فتح الله عليه، وأغناه بالحلال، ورزقه من حيث لا يحتسب، جزاء تركه أخذ ما لا يحل، ومن ترك البخل وآثر الكرم والسخاء، وواسى الناس بماله أحبوه، واقترب من الله ومن الجنة، ووقي شح نفسه، وسلم من الهم والغم وضيق الصدر.

هذا والبخل بالعلم أسوأ أنواع البخل وأقبحه، فمن ترك البخل بالعلم ولم يكتمه، بل بثه ونشره، وأفاد به الناس فعلم الجاهل، وأرشد السائل، ونصح للغافل، فله مثل أجور من انتفع بذلك، والجود بالعلم من أعلى مراتب الجود، ومن ترك المماطلة في الوفاء بالدين عازما على ألا يؤخر القضاء عن وقت الأداء، وفقه الله وأعانه، وأدى عنه؛ لصدق نيته ورغبته في الايفاء، ومن ترك حقه على المدين العاجز عن الوفاء، وتجاوز عنه؛ بأن أسقط عنه الدين كله أو بعضه أو أنظره إلى ميسرة، تجاوز الله عنه ويسر عليه، وكان ما أسقطه عنه صدقة يؤجر عليها، وسببا في مغفرة ذنبه ونجاته من النار، وأظله الله يوم القيامة في ظله.

ومن ترك المغالاة في المهور فقد وافق الشرع في تخفيف الصداق وتسهيل النكاح، وتجنب مفاسد المزايدة والتكلف فيه، وبورك في هذا الزواج، ومن ترك أخذ العوض عند مخالعته لامرأته، ولم يطالبها بما أعطاها من مهر لوجه الله، أثيب على ذلك وعوضه الله ربحا يعوض به ما ذهب من ماله، ومن ترك الكبر ولزم التواضع نال الفضائل والمكارم، وكمل سودده وعلا قدره وتناهى فضله؛ فما تواضع أحد لله إلا رفعه الله، ومن ترك الحسد وجاهد نفسه في كظمه، سلم من إثمه وضرره؛ فالحسد داء عضال وخلق لئيم، يبدأ بصاحبه فيهلكه، ومن ترك سوء الظن بالناس، والوقيعة في أعراضهم، والتعرض لعيوبهم، سلم من تشويش القلب واشتغال الفكر بما لا ينفع، ورزق التبصر في نفسه، والانشغال بإصلاح حاله.

ومن ترك مجاراة السفهاء وأعرض عن الجاهلين، حمى عرضه، وأراح نفسه، وعاش مطمئن البال، والله ناصره وكافيه، ومن ترك التشفي والانتقام لنفسه، ممن ظلمه وأساء إليه، بل وتجاوز عنه وتنازل عن حقه ابتغاء مرضاة ربه ساد وعظم في القلوب، وزاده الله عزا، وكان ذلك سببا في عفو الله عنه ورحمته ومغفرته، ومن ترك الدعة والكسل وأقبل على الجد والعمل متوكلا على الله علت همته وبورك له في وقته، فنال الخير الكثير في الزمن اليسير، ومن ترك اللغو من الكلام، وقول الباطل، والخوض فيما لا يعنيه سلم وحظي بالفوز والنجاة يوم القيامة، ومن ترك هجر من هجره من الناس وقلاه، وبادر بالسلام عليه وإعادة الصلة به، نال الخيرية وأمن عقوبة الهجر، ومن ترك الاثم قليله وكثيره وسره وعلانيته، واجتنب المعاصي بأنواعها سلم من عقوبتها وعرف قدر الله واستشعر عظمته، فأقبل على الطاعات، وترقى في مراتب الاحسان، ومن ترك المجاهرة بالمعاصي ولم يشعها، واستتر بستر الله، ولم يصر عليها، عافاه الله وستر عليه ولم يفضحه وسلم عرضه، وكان أقرب للتوبة والندم.

ومن ترك تعاطي الخبائث؛ كالمسكرات والمخدرات، والدخان والشيشة... وغيرها، نجا من الاثم والعقوبة، واستبرأ لدينه، وسلم من الأضرار الجسيمة، والمفاسد العظيمة، فعادت إليه صحته وعافيته، وحفظ بدنه من السموم والأدواء، وعقله من الغياب والفساد، وماله من الاضاعة والإتلاف، ومن ترك محرم العشق ومذموم العلاقات وغض بصره عن مشاهدة المحرمات في وسائل الاتصال والتواصل، وصبر على ذلك وأقبل على الله بكليته، رزق السلوة، وعزة النفس والعفاف، وسلم من اللوعة والذلة وأسر القلب بالمحبة المحرمة، والتعلق المذموم، وفي المقابل ملئ قلبه محبة لله، ووجد حلاوة الايمان، ولذة الطاعة، وعوضه الله فراسة صادقة ونورا وبصيرة وحفظ عليه جوارحه، فلم يستعملها إلا في طاعة الله، ومن ترك الاستماع إلي ما حرم الله عوض عن ذلك بقراءة القرآن، والتلذذ بسماعه، وتشنيف أذنيه، وطمأنينة قلبه، وانشراح صدره بذلك، ومن ترك مجالس الغيبة والنميمة واللغو والباطل رزق مجالس الذكر والاتعاظ والدروس النافعة والفوائد الجمة.

اللهم إنا نعوذ بك من البرص والجنون والجذام، ومن سيئ الأسقام، اللهم جنبنا منكرات الأخلاق والأهواء والأعمال والأدواء.

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة التاسعة

مقالات في معاني القراءات

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، فمع بعض معاني القراءات الواردة في سور الجزء الثالث والعشرين من كتاب الله الكريم، نقول وبالله تعالى التوفيق:

إعداد **د. أسامة صابر**

من سورة يس

قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) (يس: ٩).

القراءات: (سدًّا) معًا، فتح السين فيهما حفص وحمزة والكسائي وخلف، وضمها غيرهم.

المعنى: قال أبو عمرو: (السَّد: الحاجز بينك وبين الشيء، والسُّد بالضم في العين)، فيكون المعنى على قراءة الفتح: جعلنا سدًّا أمامهم، وسدًّا خلفهم فلو أرادوا تحولاً عن مكانهم إلى مرادهم لما استطاعوا، كقوله تعالى (فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ) (يس:٦٧)، وعلى قراءة الضم: جعلنا على أبصارهم غشاوة فلم يبصروا طريق الهدى والحق، كما تقول العرب: (بعينه سُدَّة)، وقيل ما كان من فعل الله فهو سُدّ وما بناه الآدميون فهو سَدّ، والفتح هنا على معنى المصدر، وقيل هما لغتان بمعنى (حجة القراءات لابن زنجلة: ص٣٠٣، التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٥١/٩).

قوله تعالى: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ) (يس: ١٤).

القراءات: (فعززنا) قرأ شعبة بتخفيف الزاي الأولى، والباقون بتشديدها.

المعنى: على قراءة التخفيف من عزَّ بمعنى: غلب، وفكُّ الادغام، أي: فغلبنا أهل القرية بحجة رسول ثالث، وعلى قراءة التشديد معناه: قوينا وشددنا الرسالة برسول ثالث (شرح الجعبري على الشاطبية ص٢١٩٢، معاني القراءات للأزهري: ص٤٢٠).

قوله تعالى: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) (يس: ٥٢).

القراءات: قرأ حفص بالسكت على ألف (مرقدنا) سكتة خفيفة من غير تنفس بقدر حركتين، والباقون بغير سكت.

المعنى: على سكتة حفص ليبين أن (هذا) ليس بصفة لـ(المرقد)، وأنه مبتدأ، وليبين أنه ليس من قول الكفار، وأنه من قول الملائكة، وحجة من وصل بدون سكت أنه كلام متصل في الخط، والوقف على (مرقدنا) تام وهو قول

القراء والنحويين. وكان عاصم يستحب الوقف عليه. وقال قتادة: تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان. قال أهل الضلالة: (قالُوا يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثَنا مِنْ مَرْقَدِنا)، وقال المؤمنون: (هَذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المُرْسَلُونَ)، وقيل: هو من قول الملائكة (الكشف لمكي بن أبي طالب ص٢/١٦٤، المكتفى في الوقف والابتدا لأبي عمرو الداني ص١٩٥).

فائدة: إذا قرأت لحفص من طريق الشاطبية فإنه يتعين عليك السكت على (مرقدنا) في حالة الوصل، ولك الوقف عليها، وهو وقف تام، وأما من طريق طيبة النشر فله أحكام خاصة وأوجه أداء (هداية القاري للشيخ عبد الفتاح المرصفي: ص٤١١).

قوله تعالى: (وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ) (يس: ٦٨).

القراءات: (ننكسه) قرأ عاصم وحمزة بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الكاف مشددة (نُنَكِّسْهُ)، والباقون بفتح الأولى وإسكان الثانية وضم الكاف مخففة (نَنْكُسْهُ).

المعنى: على القراءة الأولى يفيد التكثير تنبيهًا على تعدد الرد من الشباب إلى الكهولة إلى الشيخوخة إلى الهرم، وعلى القراءة الثانية مضارع نكسه أي نرده من قوة الشباب إلى أرذل العمر، وقيل هما لغتان (لطائف الإشارات للقسطلاني ٧/٢٥٠).

قوله تعالى: (لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا) (يس: ٧٠).

القراءات: (لينذر) قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر ويعقوب بتاء الخطاب، والباقون بياء الغيبة.

المعنى: على قراءة (لتنذر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو النذير لأمته، كما قال: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (البقرة ١١٩)، وعلى قراءة (لينذر) أي القرآن فهو نذير، كما قال تعالى: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (فصلت:٣-٤) (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٣٢٣).

ومن سورة الصافات

قوله تعالى: (لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ) (الصافات:٨).

القراءات: (يسمعون) قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف بفتح السين والميم وتشديدهما، والباقون بإسكان السين وتخفيف الميم (يَسْمَعُون).

المعنى: على قراءة التشديد أن الأصل (يتسمعون) وأدغمت التاء في السين لقرب المخرجين، وقد يحدث التسمع ولا يكون معه إدراك سمع، وإذا نفى التسمع عنهم فقد نفى سمعهم، فهو أبلغ في نفي السمع وأشد في زجرهم، وعلى قراءة التخفيف دلَّ على أنهم يتسمعون فيُطردون بالشهب ولا يسمعون شيئًا، ودليله قوله تعالى عن قول الجن: (فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا) (الجن: ٩) (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/٣٢٥).

قوله تعالى: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ) (الصافات: ١٢)

القراءات: (عجبت) قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء، والباقون بفتحها.

المعنى: على قراءة (عجبتَ) أي بل عجبت يا محمد من إنكارهم البعث كما قال تعالى: (وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ) (الرعد:٥)، أو المعنى عجبتَ من جهلهم وتكذيبهم وهم يسخرون منك.

وعلى قراءة (عجبتُ) إخبار عن الله عز وجل، وهو صفة فعلية خبرية ثابتة له تعالى وليس كعجب الآدميين، ودلت السنة عليها، كما في حديث "قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة" (صحيح مسلم: ٣٨٢٩) وحديث "عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل" (صحيح البخاري: ٢٧٨٨) (حجة القراءات لابن زنجلة: ص٣٠٩).

قوله تعالى: (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) (الصافات: ٤٠).

القراءات: (المخلصين) قرأ بفتح اللام نافع وأبو جعفر والكوفيون، وبكسرها غيرهم.

المعنى: على قراءة (المخلَصين): أي أخلصهم الله جل ذكره واختارهم لعبادته، وعلى قراءة (المخلِصين): أي أخلصوا أنفسهم لعبادة الله، كما قال تعالى: (وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ) (النساء:١٤٦) (الكشف لمكي بن أبي طالب ٢/١٢٠).

قوله تعالى: (لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ) (الصافات: ٤٧).

القراءات: (ينزفون) قرأ حمزة والكسائي وخلف بكسر الزاي،

وغيرهم بفتحها.

المعنى: على قراءة الكسر (ينزِفون): أي لا ينفد شرابهم، وعلى قراءة الفتح (ينزَفون): أي لا تزول عقولهم إذا شربوها بالسُّكر، وجمع عاصم بين اللغتين فقرأ في الصافات بالفتح وفي الواقعة بالكسر: لأن شراب الجنة وصف في سورة الصافات بقوله تعالى: (لا فِيها غَوْلٌ) وهو كل ما اغتال الإنسان فأهلكه وذهب بعقله، وفي الواقعة جعل شرابها من معين، والمعين لا ينفد، فكان ذهاب العقل في (الصافات) أشبه، ونفاد الشراب في (الواقعة) أشكل (الحجة في القراءات السبع لابن خالويه ص١٩٥).

قوله تعالى: (فَأَقْبَلُوٓا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ) (الصافات: ٩٤).

القراءات: قرأ حمزة (يزفون) بضم الياء، وغيره بفتحها.

المعنى: على فتح الياء (يَزِفُّون): يسرعون، من زف البعير إذا أسرع، وعلى قراءة حمزة (يُزِفُّون): يُزِفُّون أنفسهم، أو يحملون غيرهم على الإسراع (إبراز المعاني لأبي شامة ص٦٩١).

قوله تعالى (فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ) (الصافات: ١٠٢).

القراءات: (ترى) قرأ حمزة والكسائي وخلف بضم التاء وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة مدية (تُري)، وقرأ الباقون بفتح التاء والراء وبعدها ألف (ترَى).

المعنى: على قراءة (ترَى): أي ماذا ترى من الرأي، وعلى قراءة (تُري): ماذا تشير، وماذا تُري من صبرك أو جزعك من الذبح، ولم يكن ذلك منه مشاورة لابنه في طاعة الله، ولكن ليعلم ما عند ابنه من العزم: هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذى هو عليه، فيُسرّ بذلك أم لا، وهو في كل الأحوال ماضٍ لأمر الله (تفسير الطبري- سورة الصافات: ١٠٢).

ومن سورة ص

قوله تعالى: (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) (ص:٤٥).

القراءات: (عبادنا) قرأ ابن كثير بالإفراد (عَبْدنا) وغيره بالجمع.

المعنى: على قراءة ابن كثير أفرد إبراهيم إجلالاً له وتعظيمًا، ولأن إسحق ويعقوب من ذريته، وقراءة الجمع على أن الثلاثة بيان عن العباد (الكشف ٢/٣٣٣).

قوله تعالى: (وَآخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَاجٌ) (ص: ٥٨).

القراءات: (وآخر) قرأ أبو عمرو ويعقوب بضم الهمزة (وأُخر)، والباقون بفتحها وألف بعدها.

المعنى: على قراءة (وأُخر) على الجمع لكثرة أصناف العذاب التي يُعذبون بها غير الحميم والغساق (الكشف ٢/٣٣٥).

قوله تعالى عن الطاغين أنهم قالوا: (أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ) (ص:٦٣).

القراءات: (أتخذناهم) قرا أبو عمرو ويعقوب وحمزة والكسائي وخلف بهمزة وصل فيسقطونها وصلاً، ويبتدؤون بها مكسورة والباقون بهمزة قطع مفتوحة وصلاً وابتداء.

(سخريا) ضم السين نافع وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف، وكسرها سواهم.

المعنى: قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: "كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ، فإن العرب تستفهم فيه أحيانا، وتخرجه على وجه الخبر أحيانا".

ومن كسر (سخريا) فإنه يريد به الهزء أي يسخرون منهم، ومن ضمها فإنه يجعله من السُّخرة أي يستذلونهم (تفسير الطبري- سورة ص: ٦٣).

قوله تعالى: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ) (ص:٨٤).

القراءات: (فالحق) قرأ عاصم وحمزة وخلف برفع القاف، والباقون بنصبها، ولا خلاف بينهم في نصب (والحق).

المعنى على قراءة الرفع أي: أنا الحقُّ، أو فالحقُّ مني، أو فالحقُّ أن أملأ جهنم منك، وعلى قراءة النصب: بمعنى حقًا لأملأن جهنم، أو أن يكون نصبه على الإغراء، بمعنى: الزموا الحق واتبعوا الحق (تفسير الطبري- سورة ص: ٨، معاني القراءات للأزهري ص٤٤٠).

وللحديث بقية إن شاء الله.
والحمد لله رب العالمين.

التوحيد
أوسع المجلات
الإسلامية انتشارا في العالم
٤٨ مجلدا
مطلوبة من باعة الصحف والمكتبات
٨ شارع قولة - عابدين ٥/٣٩٣٦٥١٧ - ٣٩١٥٤٥٦

مفاجأة

سعر الكرتونة

٩٢٠ جنيه مصري بدلا من ١١٧٠

هدايا
قيمة

صدر حديثًا مجلد عام ١٤٤١ بسعر ٦٥ جنيهًا للنسخة

يوجد مجلدات لسنوات مختلفة سعر المجلد الواحد ٢٥ جنيها بدلا من ٤٠ جنيها

للحصول على الكرتونة الاتصال على الأستاذ / ممدوح عبد الفتاح : مدير قسم الحسابات بالمجلة

01008618513

الموقع الرسمي والوحيد لمجلة التوحيد

www.mgtawheed.com

موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني
موقع
التوحيد
تابع مجلة التوحيد
على موقعها الإلكتروني